جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

حوار آمنة بنت الشريد مع معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنه-دراسة بلاغية تحليلية

إعداد

د/ نجلاء مسعود حيطاوي خزيمي

مدرس البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ

(العدد السابع والثلاثون)

(الإصدار الرابع .. نوفمبر)

(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

بسم الله الرحمن الرحيم

حوار آمنة بنت الشريد مع معاوية بن أبي سفيان-ﷺ-دراسة بلاغية تحليلية

نجلاء مسعود حيطاوي خزيمي

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الالكتروني: naglaamasoud@azhar.edu.eg

الملخص:

يعد الأسلوب الحواري ضرورة من ضرورات الكلام فبه يتواصل الناس، ومن ثم اهتم به أهل اللغة والبلاغة؛ رغبة منهم في الكشف عما يُنتِجهُ الحوار من وظيفة جمالية من تأثير وإقناع واستمالة، ولأن الحوار هو الوسيلة التي دارت حولها الأحداث، والوقوف عليه يمثل جانبًا مهمًا من جوانب منهجية النص، وتطبيقًا لهذا الدور، دار البحث حول حوار آمنة، والتي أظهرت فيه إلحاحها الدائم وحرصها المستميت في الدفاع عن زوجها، والانتصار لأهدافها، معززة أفكارها، وصياغة جملها، بوسائل ربط تضفي على النص تماسكا قويا؛ لذا يسعى البحث إلى:

استظهار بلاغة حوار آمنة مع معاوية بن أبي سفيان–رضي الله عنه– من خلال النص، وقد اقتضت الدراسة أن يكون تقسيم البحث كالتالي:

مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وآخر لمحتويات البحث.

الكلمات المفتاحية: حوار ، آمنة بنت الشريد، معاوية بن أبي سفيان، دراسة بلاغية.

Dialogue of Amina bint Al-Sharid with Muawiyah bin AbiSufyan
An Analytical Rhetorical Study

Najlaa Masoud Hetawi Khozimy
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Kafr El-Sheik, Egypt. Al-Azhar University
Email: naglaamasoud@azhar.edu.eg

Abstract :
The dialogue style is a necessity of speech, as people communicate through it. Therefore, linguists and rhetoricians have paid attention to it, desiring to reveal the aesthetic function of dialogue in terms of influence, persuasion, and attraction. Because dialogue is the means around which events revolve, and standing on it represents an important aspect of the text's methodology, and in application of this role, the research revolved around Amina's dialogue, in which she showed her constant insistence and desperate keenness to defend her husband, and to triumph for her goals, reinforcing her ideas and formulating her sentences with means of connection that give the text strong cohesion; Therefore, the research seeks to:
Expose the eloquence of Amina's dialogue with Muawiya through the text, then study the most important stylistic characteristics of the dialogue. The study required that the research be divided as follows:
Introduction, preface, two chapters, conclusion, index of sources and references, and another for the contents of the research.

Keywords: Dialogue , Amina bint Al-Sharid , Muawiya bin Abi Sufyan , Rhetoric.

مقدمة

الحمدُ للهِ، نستغفره ونستهديه، ونستعين به، ونتوكل عليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ونُصَلي ونُسلِّم على نبيه وحبيبه محمد –صلى الله عليه وسلم– ما طلعت شمس وما غربت.

أمَّا بعدُ

فيعد الأسلوب الحواري ضرورة من ضرورات الكلام، فبه يتواصل الناس؛ ومن ثم اهتم به أهل اللغة والبلاغة؛ رغبة منهم في الكشف عما يُنتِجهُ الحوار من وظيفة جمالية من تأثير وإقناع واستمالة.

وفي هذا النموذج الحواري –محل البحث– تتضح معالم الحوار مع الآخر، كما يتضح تنوع كل شخصية من خلال منطوق كلامها بل من خلال إشاراتها، ومن ثم نستطيع الربط بين تلك الأحداث وأصحابها.

فالحوار يجسد أمامنا الموقف متحركًا كأننا نراه ونعيش معه، فلا يتوقف الحوار عند دور الكلمة من منظور كونها كلمة بل ينطلق إلى معرفة ما وراءها من خفي المعاني ولطيفها.

وقد جاء بحثي هذا بعنوان: **(حوار آمنة بنت الشريد مع معاوية بن أبي سفيان–رضى الله عنه– دراسة بلاغية تحليلية)**؛ لأن الحوار هو الوسيلة التي دارت حولها الأحداث، والوقوف عليه يمثل جانبًا مهمًا من جوانب منهجية النص، إذ تدور أفكاره كلها حول المأساة التي روعت آمنة، وإلحاحها الدائم وحرصها المستميت في الدفاع عن زوجها، والانتصار لأهدافها معززة أفكارها وصياغة جملها بوسائل ربط تضفي على النص تماسكا قويا.

ولقد قام الحوار في هذا النص على ركيزتين:

الأولى: تمثلت في حوار آمنة مع معاوية –رضي الله عنه–.

والآخرى: تمثلت في حوار الرسل، والحاضرين الطارئين على المجلس، فضلًا عن هذا، لا يمكن أن نغفل عن أثر الحوار على نفس آمنة، وقد اتضحت

معالمه من خلال استنطاق النص باستقراء انفعالاتها، والتي بدت مترجمة في حركاتها وسكناتها، فأظهرت ما لا يستطع لسانها النطق به، فكانت الحركة ترجمان اللسان، وكان المد تنفيسًا عن ضيق الصدر، إلى غير ذلك مما ظهر لنا من خلال التحليل والمعالجة للنص.

مشكلة البحث:

لقد تمثلت إشكالية البحث في الإجابة عن التساؤلات التالية:

ما وسائل التعبير التي اتخذها المحاور في الوصول لهدفه الإقناعي؟ هل انتصر كل محاور لرأيه؟ وكيف جمع الحوار بين الإقناع والإمتاع من خلال الوقوف على الأساليب المتنوعة؟

الهدف من دراسة هذا الحوار:

-استظهار بلاغة حوار آمنة مع معاوية -رضي الله عنه- من خلال النص.

-الكشف عن الأثر النفسي للحوار القائم بين المتكلم والمتلقي.

-الوقوف على أهم الخصائص الأسلوبية للحوار.

-بيان الاختلاف القائم من كون أحد طرفي الحوار رجلًا والآخر امرأة.

الدراسات السابقة:

لقد حظي هذا الكتاب -في ضوء قراءة الباحث واطلاعه- بعدد لا بأس به من الدراسات الجادة التي تتناسب مع أهميته، والتي أشار إليها محقق الكتاب، حيث قال: "هذا الكتاب في بلاغات النساء ومحاضراتهن شعرًا ونثرًا في جميع أفانين الكلام، وهو خلاصة منتخبة من صميم البلاغات العربية المروية عن النساء...يطبع في نفس قارئه ملكة البيان ويشرف الناظر فيه على معارف مفيدة"[(١)]، ولعل أهم هذه الدراسات:

(١) كتاب "بلاغات النساء"، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور، مقدمة المحقق، ص:ث، ت:د/محمد سالمان، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٣٢٦ هـ-١٩٠٨م .

١-**أسلوب الكناية عن الصفة في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور**، خليل عبد السادة إبراهيم الهلال، وزينب عبد الله كاظم الموسوي، مجلة كلية الآداب- جامعة الكوفة، مجلد ٩- عدد ٢٧-٢٠١٦م، وهي دراسة تستعرض دور الكناية، وأثرها على المعنى في الكتاب على وجه العموم.

٢-**الأجوبة المسكتة في نثر بلاغات النساء لـ" طيفور الخرساني" دراسة بلاغية**، للباحثة: شيماء عبد الرحمن توفيق محمد، كلية اللغة العربية بالمنوفية، مجلد٣٦، عدد١- يونيو ٢٠٢١م، وقد تناولت الخصائص البلاغية لأجوبة البليغات، دون تحديد النصوص، فهو بحث عام، لا يتوجه فيه بالتحليل إلى أركان الحوار أو المحاورة.

٣-**بلاغة المجادلة: قراءة في بلاغات النساء السردية** للباحث: حسن محمد النعمي، مجلة الدراسات العربية، عدد ٨، مجلد١، جامعة المنيا- كلية دار العلوم ٢٠٠٣ م، وقد اقتصرت هذه الدراسة على ثلاثة نصوص، ليس من بينها النص محل الدراسة، وتمثلت تلك النصوص في نص "هند بنت النعمان والحجاج الثقفي"، ثم نص "كلام امرأة أبي الأسود الدؤلي"، وأخيرًا نص "قصة دارمية الحجونية مع معاوية بن أبي سفيان".

٤-**كتاب "بلاغات النساء" لابن طيفور دراسة نقدية**، للباحثة سعاد مسعودي، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ال جزائر٢٠١٢م، وهي دراسة نقدية عامة للكتاب لا تتصل من قريب أو بعيد بالنص محل الدراسة.

٥-**تقنيات الحِجاج في حوارات النساء وبلاغات النساء لابن طيفور نموذجًا**، للباحث: أحمد عبد العظيم محمد علي، كلية العلوم والآداب، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية-كلية الألسن، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية، العدد السادس والثلاثون، الإصدار الثاني..مايو١٤٤٤هـ-٢٠٢٣م، وقد تناول الباحث خمس محاورات لم تك بينها ما تناولت في بحثي من

محاورة، وهنَّ (أروى بنت الحارث بن عبد المطلب/ سودة بنت عمارة/ الزرقاء بنت عدي/ بكارة الهلالية/ أم الخير بنت الحريش البارقية)، واعتمد الباحث في دراسته على سرد آليات الحِجاج وتقنياته.

مادة الدراسة، ومنهجية البحث:

تتمثل مادة الدراسة في كتاب "بلاغات النساء" لابن طيفور، وتحديدًا كلام آمنة بنت الشريد مع الخليفة الأموي الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه–[(١)]، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الظاهرة ويحللها، مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى حسب ما تقتضيه طبيعة الدراسة.

(١) لا يسع الباحثة في مستهل هذه الدراسة إلا أن تنوه بالغرض البحثي الذي تتوجه إليه هذه الدراسة، والمتمثل في دراسة حوار آمنة بنت الشريد مع رمز الخلافة معاوية بن أبي سفيان–رضي الله عنه– دراسة بلاغية تحليلية، وهي إذ تسعى إلى استظهار بلاغة الحوار غير معنية بأي مناقشة شرعية أو تاريخية لطبيعة الخلاف الذي نشب في هذا العصر، ونبرأ إلى الله من أي لفظ لايليق في حق سيدنا معاوية بن أبي سفيان–رضي الله عنه– .

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

التمهيد يشتمل على مفهوم الحوار، وأتبعته بتعريف شخصيات الحوار، ثم ذكرت النص محل الدراسة.

المبحث الأول: بلاغة التمهيد للحوار.

المبحث الثاني: بلاغة حوار آمنة مع رسول معاوية-رضي الله عنه-.

المبحث الثالث: بلاغة حوار آمنة مع معاوية-رضي الله عنه-.

المبحث الرابع: بلاغة حوار معاوية-رضي الله عنه- مع الأسلع.

المبحث الخامس: بلاغة خاتمة الحوار.

ثم خاتمة تجمل ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، وفهارس.

فهذا العمل المتواضع هو غاية الجهد، ولا أدعي أني قد استكملت جميع جوانبه، ولكن حسبي أني بذلت طاقتي، فإن كنت قد وفقت فذلك من منن الله عليَّ، وإن كانت الأخرى، فما أجدر الإنسان بالخطأ والزلات، أسأل الله أن يجنبنا الزلل، وأن يتقبل منا العمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد

أولًا: مفهوم الحوار.

الحوار لغة: المجاوبة ومراجعة الكلام، يقول الزمخشري: "حاورته: راجعته الكلام، وهو حسن الحوار، وكلمته فما رد عليّ محورة، وما أحار جواباً أي: ما رجع. قال الأخطل:

هَلاَّ رَبَعْتَ فتسألَ الأطلالا ... ولقد سألتُ فما أحَرْنَ سُؤالا[١]

وفي الاصطلاح: "كل كلام يجري بين اثنين أو أكثر يقوم على المراجعة والمجاوبة"[٢]، وقيل: إن الحوار والجدال ذو دلالة واحدة، وقد اجتمع اللفظان في قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ المجادلة: ١

"ويراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي"[٣].

و"الحوار نمط تواصل؛ حيث يتبادل ويتعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي"[٤].

---

(١) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود الزمخشري، ج١/٢٢١، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

(٢) أسلوب الحوار في الحديث النبوي دراسة بلاغية، خليل محمد أيوب، ص١٧، دار النوادر– لبنان، ط: الأولى، ١٤٣٣هـ–٢٠١٢م.

(٣) أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حمد، ص٦، دار المنارة – مكة، ط: الأولى ١٤١٥ هـ–١٩٩٤م.

(٤) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د/سعيد علوش، ص٧٨، دار الكتاب اللبناني– بيروت، ط: الأولى ١٤٠٥ هـ –١٩٨٥م.

ويتحدد نمط الحوار من خلال الوقوف على طبيعة المتحاورين، فقد يكون حوارًا هادئًا يغلب عليه صوت العقل، وقد يكون حادًا عنيفًا، وذلك عندما تسيطر العاطفة والمشاعر على النفس، كما هو الحال في حوار آمنة الذي بين أيدينا.

وللحوار مراحل يُبنى عليها، "وقد أُجملت فيما يلي:

١-مرحلة الافتتاح أو البدء، وتعد بمنزلة التمهيد للموضوع.

٢-مرحلة المواجهة: وهي مرحلة التساؤل، يفترض فيها أن تكون واضحة حتى يتضح المقصد من الحوار.

٣-مرحلة التدليل وإقامة الحجة، وتسمى بمرحلة المدافعة.

٤-مرحلة الختم والإغلاق، وينتظر أن يتحقق في هذه المرحلة الأهداف المتوخاة من الحوار"[(١)].

ثانيًا: التعريف بشخصيات الحوار.

١- معاوية بن أبي سُفْيَان- رضي الله عنه- (ت ٦٠ هـ - ٦٨٠ م).

هو صخر ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي، مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين، كان فصيحا حليما وقورا.

ولد بمكة، وأسلم يوم فتحها سنة ٨هـ، وتعلم الكتابة والحساب، فجعله رسول الله -صلّى الله عليه وسلم- في كتَّابه، ولما ولي أبو بكر ولاه قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان، فكان على مقدمته في فتح مدينة صيداء، وعرقة، وجبيل، وبيروت، ولما ولي عمر جعله واليا على الأردن، ورأى فيه حزما وعلمًا فولاه دمشق ...بعد موت أميرها يزيد أخيه، وجاء عثمان فجمع له الديار الشامية

(١) خصائص الخطاب العلمي في حوار البيروني وابن سينا، صباح بو غازي، ص٣٦، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية- قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار، الجزائر، ٢٠١٢م.

كلها، وجعل ولاة أمصارها تابعين له، وقُتِلَ عُثمان، فَوُلِّيَ علي بن أبي طالب فوجه لفوره بعزل معاوية–رضي الله عنه– وعلم هو بالأمر قبل وصول البريد، فنادى بثأر عثمان، واتهم عليا بدمه، ونشبت الحروب الطاحنة بينه وبين علي، وانتهى الأمر بإمامة معاوية في الشام وإمامة علي في العراق، ثم قتل علي وبويع بعد ابنه الحسن، فسلم الخلافة إلى معاوية سنة ٤١ هـ، ودامت لمعاوية الخلافة إلى أن بلغ سن الشيخوخة، فعهد بها إلى ابنه يزيد، ومات في دمشق. [(١)].

٢– آمنة بنت الشريد (ت٥٠ هـ–٦٧٠ م)

هي زوج عمرو بن الحمق الخزاعي، فصيحة من أهل الكوفة، اشتهرت بخبر لها مع معاوية–رضي الله عنه– وكان قد حبسها في سجن دمشق سنتين؛ لفرار زوجها، ثم قتل زوجها وجيء برأسه إليها، فألقوه في حجرها، فدعت على معاوية–رضي الله عنه– ، فطلبها، وسألها، فلم تنكر ما قالت، فأمرها بالخروج فخرجت، وقال: يحمل إليها ما يقطع به لسانها عني، ويخف بها إلى بلدها، فلما أعطيت ما أمر لها به قالت: يا عجبي لمعاوية يقتل زوجي ويبعث إليّ بالجوائز! ورحلت تريد الكوفة، فماتت بالطاعون بحمص"[(٢)].

٣– عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ (ت:٥٠هـ).

هو عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ بْنِ الْكَاهِنِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْقَيْنِ بن رزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو من خزاعة، صحب النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١)الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ج٢٦٢/٧، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر ٢٠٠٢ م، ينظر أسد الغابة في معرفة الصحابة أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن الأثير، ج٢٠١/٥، ت: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: الأولى،١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

(٢) الأعلام، ج٢٦/١.

وَسَلَّمَ- ونزل الكوفة وشهد مع علي-رضي الله عنه- مشاهده، وكان فيمن سار إلى عثمان وأعان على قتله، ثم قتله عبد الرحمن ابن أم الحكم، وكان أَوَّلُ رَأْسٍ حُمِلَ فِي الإِسْلامِ رَأْسُ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ (١).

ثالثًا: النص الحواري

كلام آمنة بنت الشريد(٢)

قال: حدثنا العباس بن بكار، قال: حدثنا أبو بكر الهذلي عن الزهري، وسهل بن أبي سهل التميمي، عن أبيه قالا: لما قتل عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- بعث معاوية في طلب شيعته، فكان في من طلب عمر بن الحمق الخزاعي، فراغ منه، فأرسل إلى امرأته آمنة بنت الشريد، فحبسها في سجن دمشق سنتين، ثم أن عبد الرحمن بن الحكم ظفر بعمر بن الحمق في بعض الجزيرة، فقتله، وبعث برأسه إلى معاوية، وهو أول رأس حمل في الإسلام، فلما أتى معاوية الرسول بالرأس، بعث به إلى آمنة في السجن، وقال للحرسي: احفظ

(١) الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري البغدادي، ج٦/١٠١-١٠٢، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م، وينظر: تاريخ ابن يونس المصري، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، ج١/٦٦٧، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ.

(٢) وقد اعتمدت في تخريج هذا النص على كتاب "بلاغات النساء"، ص٦٤، وقد ورد هذا النص بجانب وروده في كتاب "بلاغات النساء" في كتاب "أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، للعباس بن بكار الضبي، ج١/٥٢، ت: سينة الشهابي، مؤسسة الرسالة-بيرت-لبنان، ط: الأولى،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، وكتاب "مختصر تاريخ دمشق" لابن عساكر، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ج٥/١٤٨، ت: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع- دمشق- سوريا، ط: الأولى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٤م.

ما تكلم به حتى تؤديه إليّ، واطرح الرأس في حجرها، ففعل هذا، فارتاعت له ساعة، ثم وضعت يدها على رأسها، وقالت: واحزنا لصغره في دار هوان، وضيق من ضيمة سلطان، نفيتموه عني طويلًا، وأهديتموه إليّ قتيلًا، فأهلًا وسهلًا بمن كنت له غير قالية، وأنا له اليوم غير ناسية، ارجع به أيها الرسول إلى معاوية، فقل له ولا تطوه دونه، أيتم الله ولدك، وأوحش منك أهلك، ولا غفر لك ذنبك، فرجع الرسول إلى معاوية فأخبره بما قالت، فأرسل إليها، فأتته وعنده نفر فيهم إياس بن حسل أخو مالك بن حسل، وكان في شدقيه نتوء عن فيه؛ لعظم كان في لسانه، وثقلٍ إذا تكلم، فقال لها معاوية: أأنت يا عدوة الله صاحبة الكلام الذي بلغني؟ قالت: نعم، غير نازعة عنه، ولا معتذرة منه، ولا منكرة له، فلعمري لقد اجتهدت في الدعاء إن نفع الاجتهاد، وإن الحق لمن وراء العباد، وما بلغت شيئاً من جزائك، وإن الله بالنقمة من ورائك، فأعرض عنها معاوية، فقال إياس: اقتل هذه يا أمير المؤمنين، فوالله ما كان زوجها أحق بالقتل منها، فالتفتت إليه، فلما رأته ناتئ الشدقين، ثقيل اللسان، قالت: تبًا لك، ويلك بين لحييك كجثمان الضفدع، ثم أنت تدعوه إلى قتلي كما قتل زوجي بالأمس، إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض، وما تريد أن تكون من المصلحين، فضحك معاوية، ثم قال: لله درك! أخرجي، ثم لا أسمع بك في شيء من الشام، قالت: وأبي لأخرجن، ثم لا تسمع لي في شيءٍ من الشام، فما الشام لي بحبيب، ولا أعرج فيها على حميم، وما هي لي بوطن، ولا أحن فيها إلى سكن، ولقد عظم فيها ديتي، وما قرت فيها عيني، وما أنا فيها إليك بعائدة، ولا حيث كنت بحامدة، فأشار إليها ببنانه أخرجي، فخرجت، وهي تقول: واعجبي لمعاوية! يكف عني لسانه، ويشير إلى الخروج ببنانه، أما والله ليعارضنه عمرو بكلام مؤيد، سديد، أوجع من نوافذ الحديد، أو ما أنا بابنة الشريد، فخرجت وتلقاها الأسود الهلالي، وكان رجلاً أسود، أصلع، أسلع، أصعل، فسمعها وهي تقول ما تقول، فقال: لمن تعني هذه؟ ألأمير المؤمنين تعني عليها لعنة الله؟ فالتفتت إليه، فلما رأته، قالت: خزيًا لك،

وجدعًا، أتلعنني واللعنة بين جنبيك، وما بين قرنيك إلى قدميك؟ اخسأ يا هامة الصعل، ووجه الجعل، فأذلل بك نصيراً، وافلل بك ظهيرًا، فبهت الأسلع ينظر إليها، ثم سأل عنها، فأخبر، فأقبل إليها معتذرًا؛ خوفًا من لسانها. فقالت: قد قبلت عذرك، وإن تعد أعد، ثم لا أستقيل ولا أراقب فيك، فبلغ ذلك معاوية، فقال: زعمت يا أسلع أنك لا تواقف من يغلبك، أما علمت أن حرارة المتبول ليست بمخالسة نوافذ الكلام عند مواقف الخصام، أفلا تركت كلامها قبل الاعتذار إليها؟ قال: أي، والله يا أمير المؤمنين، لم أك أرَ شيئًا من النساء يبلغ من معاضيل الكلام ما بلغت هذه المرأة جالستها، فإذا هي تحمل قلباً شديدًا، ولسانًا حديدًا، وجوابًا عتيدًا، وهالتني رعبًا، وأوسعتني سبًا، ثم التفت معاوية إلى عبيد بن أوس فقال: ابعث لها ما تقطع به عنا لسانها، وتقضي به ما ذكرت من دينها، وتخف به إلى بلادها، وقال: اللهم اكفني شر لسانها، فلما أتاها الرسول بما أمر به معاوية، قالت: يا عجبي لمعاوية! يقتل زوجي، ويبعث إليّ بالجوائز، فليت أبي كرب سد عني حره صلة، خذ من الرضعة ما عليها، فأخذت ذلك، وخرجت، تريد الجزيرة، فمرت بحمص؛ فقتلها الطاعون، فبلغ ذلك الأسلع، فأقبل إلى معاوية كالمبشر له، فقال: أفرخ روعك يا أمير المؤمنين، قد استجيبت دعوتك في ابنة الشريد، وقد كفيت شر لسانها، قال: وكيف ذلك؟ قال: مرت بحمص؛ فقتلها الطاعون، فقال له معاوية: فنفسك فبشر بما أحببت، فإن موتها لم يك على أحد أروح منه عليك، ولعمري ما انتصفت منها حين أفرغت عليك شؤبوبًا وبيلًا، فقال الأسلع: ما أصابني من حرارة لسانها شيء إلا وقد أصابك مثله، أو أشد منه.

المبحث الأول

بلاغة التمهيد للحوار

كان لحوار آمنة مع رسول معاوية–رضي الله عنه– أسباب ومقدمات دعت إلى تشيكل بنية الحوار، إذ كانت بمنزلة التمهيد له، وقد تمثلت في:

"**لما قتل عليّ بن أبي طالب** –رضي الله عنه– **بعث معاوية في طلب شيعته، فكان في من طلب، عمرو بن الحمق الخزاعي، فراغ منه**".

هذه المقدمة التمهيدية جاءت؛ لتنبيه الأذهان لما يدور حوله الحوار، حيث تعد المقدمة من أبرز سماته، فلم يتم الدخول مباشرة في النص قبل التمهيد له، بل قُدِّمَ للمعنى بمقدمة مثيرة استدعت انتباه السامع وأثارت يقظته؛ ليتطلع إلى الدخول فيه ومعرفة ما يدور حوله، إذ "العتبات النصية التي تشكل مفاتيح إجرائية فاعلة للولوج في فضاء النص، والتأثير في متلقيه، ودورها في جذب اهتمامه للدخول في فضاء النص، فتثور عنده رغبة تدفعه إلى الغوص فيه"(١).

فقد طلب معاوية–رضي الله عنه– من مناصريه وأعوانه أن يأتوا له بعمرو الذي راغ منه، وفي التعبير بكلمة (راغ) دون غيرها مما يفيد الهرب، فـ "راغَ يرُوغُ رَوْغاً ورَوَغاناً: حادَ. وَرَاغَ إِلَى كَذَا أَي مالَ إِلَيْهِ سِرّاً وحادَ، وَفُلَانٌ يُراوِغ فُلَانًا إِذَا كَانَ يَحِيدُ عَمَّا يُرِيدُه عَلَيْهِ وأراغَه هُوَ وراوَغَه: خادَعَه، وهو انْحِرَافٌ فِي اسْتخفاء"(٢)، فكأن عمرو انطلق متخفيًا حتى لا يستطيع أحد الإمساك به، ولذا كان هذا نتيجة لما بعده، وهو الإمساك بزوجته وحبسها، تأمل معي قول الراوي: **(فأرسل إلى امرأته آمنة بنت الشريد، فحبسها في سجن دمشق، سنتين)**.

---

(١) عتبات النص (البنية والدلالة في رواية غارديني)، د/ محمد أحمد الرقيبات، ص٨٠، مجلة الإيضاح، ٢٠١٨ م.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبوالفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري، دار صادر–بيرت، ط: الثالثة، ١٤١٤هـ، مادة: روغ.

وفي تعيين اسم الزوجة ما يدل على شدة الاهتمام بأمرها، وأنها هي المقصودة بعينها لا غيرها، ثم إن توالي حرف العطف (الفاء) ما يفيد سرعة الإتيان بها، ومن ثَمَّ توقيع عقوبة الحبس عليها، فبمجرد أن أمسك بها أمر بحبسها، فكأنه بهذا الصنيع ينفس عن شدة غضبه من صنيع زوجها.

ثم إن لتحديد المكان(**سجن دمشق**) خصوصية في الحوار لا يمكن التغافل عنها؛ لأنه يمثل عتبة من عتبات النص "التي تلوح بمعناه دون أن تفصح عنه، وتظل مرتبطة به ارتباطًا وثيقًا"(١)، فالمكان الذي هو بمنزلة وثيقة فعلية على الحبس يشعرنا بمدى ما عانته هذه المرأة من ألم وضيق، فهو ليس كأي سجن، وإنما هو سجن العاصمة، فجعلنا نتخيل كم الحراس والأغلال التي أحاطت بها، فلا يسعها التنفيس عن غضبها وقهرتها وضيق ذات يدها إلا بالتسلي بالآهات والشكوى، إذ مدة الحبس ليست بالقليلة، دل على ذلك تحديد الزمن (**سنتين**) فذكر الزمن؛ ليشير إلى المدة التي استغرقها معاوية-رضي الله عنه- في البحث عن زوجها، فهى مدة ليست بالقصيرة، مدة عانت فيها الزوجة وتحملت وصبرت فداءً لزوجها، فقد ضحت بحريتها من أجل أن تُبقي على زوجها، فما أجمل الوفاء بالعهد، وما أجمل الإخلاص في الحب.

ثم إن التعبير بحرف الجر (في) مع السجن، دليل على أنها مستقرة فيه كائنة به، ولا شك أن تكرار السجن في مقدمة الحوار أفاد المبالغة في تحقيق إذلالها والتأكيد عليه، تأمل قول الراوي: (**فحبسها في سجن دمشق**)، وقوله: (**فلما أتى معاوية الرسول بالرأس، بعث به إلى آمنة في السجن**).

(١) عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، يوسف إدريسي: ص٢١، الدار العربية للعلوم ، ط: الأولى١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

وقد كان لاختيار كلمات بعينها في الحوار أثر بالغ في التماسك النصي بين ما هو سابق وما هو لاحق، فانظر كيف كان الحبس، وكم كانت مدته، وبين كلمة (ظفر)، والتي تعني: "الْفَوْزُ بِالْمَطْلُوبِ والفَلْجُ عَلَى مَنْ خَاصَمْتَ؛ وَقَدْ ظَفِرَ بِهِ وَعَلَيْهِ وظَفِرَهُ ظَفَراً، مِثْلَ لَحِقَ بِهِ ولَحِقَهُ فَهُوَ ظَفِرٌ"(١)، ولا شك أن معنى الفوز أبلغ في وصف منتهى البحث والتحري والتنقيب عن الزوج لدرجة أن وُصف الإمساك به بالفوز؛ ليتناسب مع الحدث العظيم.

ولقد كان السر في اجتهاد الخليفة معاوية–رضي الله عنه– في البحث عن عمرو بن الحمق، وتتبعه بعد فراره، والفرح بالظفر به، أنه كان أحد المشاركين في مقتل سيدنا عثمان–رضي الله عنه–، حيث قيل عنه: "وأما عمرو بن الحمق، فوثب على عثمان، فجلس على صدره وبه رمق، فطعنه تسع طعنات، وقال: أما ثلاث منهن فإني طعنتهن لله، وأما ست فإني طعنته إياهن لما كان في صدري عليه"(٢) ، فكانت غيرة معاوية–رضي الله عنه– على الإسلام هي مَن تدفعه للذود عنه.

فالتعبير بالفوز يصور لنا مدى حرص المُوْكَل على الإتيان به، وتنفيذ أوامر سيده معاوية–رضي الله عنه– ، حتى إنه لم يتوان في البحث عنه والفوز به، فكان بمنزلة الانتصار له، وقد جاء الحديث عن ذلك مفصلا، في قوله: **(ثم أن عبد الرحمن بن الحكم ظفر بعمر بن الحمق في بعض الجزيرة فقتله، وبعث برأسه إلى معاوية، وهو أول رأس حمل في الإسلام).**

وبإنعام النظر في مقدمة النص الحواري الذي بين أيدينا، نجد أن الاختلاف والتنوع بين أدوات الربط راجع إلى التناسب بين اللفظ والمعنى، فمقام

(١) لسان العرب، مادة: ظفر.

(٢) مختصر تاريخ دمشق، ج١٦/٢٢٥.

السرعة استدعى الفاء ونادى عليها، ومقام التراخي وانبساط الزمن واتساعه نادى على ثم، ومقام الإشراك نادى على الواو، تأمل قول الراوي: **(فأرسل إلى امرأته آمنة بنت الشريد فحبسها.....**، وقوله: **.. ثم أن عبد الرحمن بن الحكم ظفر بعمر بن الحمق في بعض الجزيرة...، وقوله: فقتله، وبعث برأسه إلى معاوية).**

فالجملة الأولى صورت منتهى الغضب وشدة العقاب وسرعة تنفيذه، والجملة الثانية صورت طول مدة البحث من ناحية الحارس، وشدة إمعان الزوج في الهرب، وحرصه الشديد على التخفي حتى إن زمن البحث عنه استغرق سنتين، أما عن الجملة الثالثة فكان لابد من استدعاء المخولة بالسرعة (الفاء)، فبمجرد أن فاز به قتله، ولم يتردد في فصل رأسه عن جسده؛ لتكون علامة وأثرًا على موته.

ومما يضاعف أسفها وأساها كثرة استعمالها للضمائر، والتي تنسجم مع النص، تأمل القول: (فقتله– برأسه..)، فنجد أن الضمير قد قام بوظيفة أساسية في الربط، فكأن المعنى ذكر مرتين، فيعاد في النفس، مما يحدث تأثيرًا قويًا، ويثير انفعالًا ملحوظًا بمجرد ذكره؛ لأن الضمير وما يعود عليه هو هو نفس المعنى، وله نظائر كثيرة في النص.

كما أن الجار والمجرور في قوله: **(في بعض الجزيرة)** دل على منتهى البحث والتحري حتى إنه طاف في الجزيرة شرقا وغربا، فلم يجده إلا متخفيا مستترًا في جزء منها، ولذا كان الظفر مقابلا للتعب.

ولعل قول الراوي: **(وهو أول رأس حمل في الإسلام)** تأريخ لحدث فريد من نوعه، وهو من الأهمية بمكان، فتناسب وسرعة البعث، إذ معنى وبَعَثَ بِهِ:"أرسلها، وجّهها مَعَ غَيْرِهِ"[1]، فقوله:**(برأسه)** قد دلت الباء على الإلصاق،

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

وكأن الرأس ملتصقة بيده حتى لا تفلت منه، فقبض بيده عليها، وهو ما تناسب مع الفعل (ظفر).

وفي تعريف (الرأس)؛ دلالة على تعيينها، ثم إن في تكرارها اهتمامًا بشأنها، وتقوية لمعنى الفوز والظفر بها والانتهاء من وجودها، أرأيت كيف كان وصفه لها بأنها أول رأس حمل في الإسلام؟ فلا ريب أن كان هذا حدثًا مثيرًا وأمرًا جللًا.

ومن الملاحظ أن فعل البعث ملازم للحوار، انظر قوله: **(فلما أتى معاوية الرسول بالرأس، بعث به إلى آمنة في السجن، وقال للحرسي: احفظ ما تكلم به حتى توديه إليّ، واطرح الرأس في حجرها، ففعل هذا، فارتاعت له ساعة، ثم وضعت يدها على رأسها، وقالت: واحزنا لصغره في دار هوان)**.

وقوله: **(بعث به إلى آمنة)** دون ذكر حرف العطف؛ ليدل على أنه بمجرد أن وجد معاوية–**رضي الله عنه**– الرأس بيده أرسلها إلى امرأته في سجنها، وهو دليل على معنى العناية الملازم من المُرسِل إلى المُرسَل إليه، وكأنه تأكيد على توصيل الرسالة.

فالإشارة إلى اسمها (آمنة) دون نسبتها إليه بامرأته أو زوجته، يحمل في طياته معنى انقطاع روابط الصلة بينهما بمجرد موته، ففي التعبير باسمها مكايدة فيها، ونكاية وإذلال لها، وتقوية لمعنى الحسرة والفجيعة في قلبها.

ويمكن أن يكون ذكر اسمها دليلًا على اهتمام معاوية–**رضي الله عنه**– بأمرها، وأنه كان منشغلا بموقفها متعجبًا من صنيعها، ووفائها، وصبرها الذي امتد عامين.

ولعل الدافع إلى التعبير بأسلوب الأمر في قوله: **(احفظ ما تكلم به حتى توديه إليّ، واطرح الرأس في حجرها)**، هو التعبير عن شدة حرص معاوية– رضي الله عنه– واهتمامه برد فعل آمنة وانشغاله بكلامها، فهذا ما دفعه إلى استعمال فعل الأمر الموجه للحارس **(احفظ)**، فكأنه موكَّل بشيء يحفظه، إذ

"حفِظ الشَّيءَ: صانَه، حرسَه، رعاه وحفِظ الكتابَ، ونحوَه: استظهره عن ظهر قلب"(١)، حيث أراد التركيز على معرفة رد فعلها تجاه هذا الموقف، ويعد حسن الإنصات في الحوار من خصائص نجاحه وقوته.

ومعنى **(تكلم)**، أي: تتكلم، ففي الحذف دليل على شدة الموقف وهوله، فالحذف" يدعونا للإبحار في أعماق المتكلم، والمخاطب، والظروف المصاحبة للموقف الكلامي، الظاهرة منها والكامنة، فاللغة التي تدور مشافهة بين الأطراف المتحاورة، تشكل بيئة خصبة للحذف عندما تعضدها القرائن المصاحبة لفظية كانت أو حالية، فيصبح الكلام إشارات موجزة ذكية ما تنقله من معان أكبر بكثير من حجم الألفاظ"(٢)، فلا شك في أن جميع أطراف الحوار في ظرف عصيب، فمعاوية-**رضي الله عنه**- حريص كل الحرص على معرفة رد فعل آمنة حتى إنه أمر الرسول بالحفظ، فالحذف قرينة دلت على أن يحفظ كلامها وما وراء كلامها؛ ليرى معاوية-**رضي الله عنه**- من خلاله شخصية تلك المرأة التي تحملت الحبس، ولم تفصح عن مكان زوجها.

ولا شك أن الأمر بالطرح من قِبَلِ الخليفة معاوية-**رضي الله عنه**- في قوله: **(واطرح الرأس في حجرها)** فيه تدمير لإنسانيتها، وتحطيم لنفسيتها مهما أظهرت من صبر وجلد.

ففي الطرح مزيد إهانة وإذلال، فهي "كلمة بارعة التصوير في الإبانة عن الأمر الذي لا يكون؛ لأن الطرح ... لا يكون من أشرس الناس على من هو أشد عداوة له"(٣)، فالطرح يعني: "طَرَحَ بِالشَّيْءِ وطَرَحَه يَطْرَحُه طَرْحاً واطَّرَحَه

(١) معجم اللغة العربية المعاصر، مادة: حفظ.

(٢) لغة الحوار في القرآن الكريم (دراسة وظيفية أسلوبية)، د/ فوز سهيل كامل نزال، ص٣٨٠ ط: الأولى، عمان – دار الجوهرة،٢٠٠٣م.

(٣) شرح أحاديث من صحيح مسلم، د/محمد أبو موسى، ٧٦٦/٢، مكتبة وهبة –القاهرة، ط: الأولى ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، بتصرف يسير.

وطَرَّحه: رَمَى بِهِ؛ والطِّرْحُ الشَّيْءُ المطروحُ لَا حَاجَةَ لأَحد فِيهِ"[١]، ففي الطرح تصوير لسطوة الحاكم و قوته، التي لا يضاهيها قوة ولا يردعها رادع، ولا شك أن الرأس رأس عدو، فناسب حركة الطرح ما يحمله قلب معاوية–رضي الله عنه– له من بغض، ولم يكن الطرح أمامها، ولكنه في حجرها، وفي هذا المشهد مبالغة في تمكين الحسرة من قلبها، ومن الإذلال والتهكم والازدراء بشخصها، ثم إن في تعريف **(الرأس)**؛ تعيينًا لها وتحقيرًا لأمرها.

وفي قوله: **(ففعل هذا، فارتاعت له ساعة، ثم وضعت يدها على رأسها، وقالت: واحزنا لصغره في دار هوان)**، دليل على امتثال الرسول لما أمر به معاوية–رضي الله عنه– و"الرَّوْعُ والرُّواع والتَّرَوُّع: الفَزَعُ، راعَني الأَمرُ يَرُوعُني رَوْعاً ورُووعاً؛ وَفِي حَدِيثِ الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ آمِنْ رَوعاتي[٢].

فالتعبير بالفعل الماضي مع كون الفعل باقيًا مستمر؛ لتشارك المخاطب في فزعها وحزنها فجعلنا نتعايش معها، ونستحضر مشهدها المهيب أثر الفجيعة التي أصابتها مدة طويلة، فهي لم تتماسك ولم تع ما تقول، كما نبأ الفعل عن قوة العلاقة بينها وبين زوجها، فكان هذا "أوقع في تأثيرها النفسي، وأعمق في تحريكها للمشاعر والوجدان، وأقرب إلى إقناع العقل، وتصديق القلب"[٣].

ولقد كان من أثر الارتياع أن ألجم الخطب فمها، فلم تعد تُرتب ما تقول، فالانفعال الشديد يشل التفكير ويلجم اللسان، فالمرأة قد أظهرت فجيعتها من خلال صورة حسية يتخيلها القارئ بمجرد أن يسمعها، فتثير الآسى في نفسه، ومن هنا

(١) لسان العرب، مادة: طرح.

(٢) لسان العرب، مادة: روع.

(٣) القرآن وعلم النفس، د/محمد عثمان نجاتي، ص١٧٤، دار الشروق، ط: السابعة ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.

ظهر لنا البعد النفسي في الحوار، فكانت وظيفة الحوار ترجمة انفعالات آمنة، وتصوير شخصيتها وما تعانيه من أزمة نفسية قاسية.

أضف إلى ذلك تحديد الزمن في الحوار، فـ **(ساعة)** لا تعني مدة زمنية محددة، **إذ** "الساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق"[1]، فهي كناية عن كونها ساعة ليست كأي ساعة بدليل تنكيرها، إذ هي ساعة عظيمة، وكأن هول الموقف النفسي التي هي بصدده كفيل بأن يدمر نفسيتها، ويحطم قلبها، ويجن عقلها، ويوقف الزمن من حولها، فمثلت الساعة مهلة من الزمن لا يعلم مقدارها إلا من خلال الوقوف على مقدار تحملها؛ لتتماسك وتستطيع أن تستجمع ما تبقى من حواسها؛ لالتقاط أنفاسها ولمّ شتات وجدها.

(١) الكشاف، للزمخشري،ج٢/٣١٦، دار الكتاب العربي- بيروت- ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

المبحث الثاني

بلاغة حوار آمنة مع رسول معاوية-رضي الله عنه-

قد أثارت مقدمة الحوار مشاعر الأسى والأسف في نفس آمنة على مقتل زوجها، حيث

صور النص عدة انفعالات، أولها: **(ثم وضعت يدها على رأسها)**.

وهنا نرى تصوير البلاغة للانفعالات النفسية عن طريق الحركة، يقول الجاحظ" والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه..."[(١)]، فهي لم تع ما تفعل حتى أنها وضعت يدها على رأسها، فحركة يدها على رأسها، كناية عن شدة هول المصيبة التي ألمت بها، ويأسها ونفاذ حيلتها، والتي تتناسب مع لفظ الارتياع، حيث طوت وراءه كل معاني التفجع والتحسر، إذ هي تلخص منتهى تفجعها وإخلاصها ووفائها لزوجها، وهو تصوير لما انتابها من حيرة نفسية وفكرية، ومن المتعارف عليه أن الفاجعة عندما تكون شديدة على النفس، ولا تستطيع النفس تحملها بحال من الأحوال يصبح الإنسان في حالة ذهول وصدمة، فيتوقف عن التفكير، وتنطلق بداخلة انفعالات غير محسوبة، وحركات لا إرادية، وهذا ما فعلته آمنة عندما طُرح رأس زوجها في حجرها؛ استجابة للحالة النفسية والفكرية التي تعيشها على نحو "تصبح معه حركة الصياغة صورة لحركة عاطفة المبدع، وطبيعة أحاسيسه ومشاعره التي تسري عبر التراكيب إلى وجدان المتلقي وروحه"[(٢)].

---

(١) البيان والتبيين، عمر بن بحر بن محبوب الكناني،الشهير بالجاحظ،ج١/٤٣، دار ومكتبة الهلال-بيروت،١٤٢٣هـ.

(٢) الخصائص الأسلوبية في شعر الحماسة بين أبي تمام والبحتري، أحمد صالح محمد النهمي:٢٠٦، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية – جامعة أم القرى ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

وبعد أن أرتنا نفسيتها من خلال لغة جسدها بوضع يدها على رأسها، قرنت ذلك بالإبانة عن حالتها من خلال حوارها، فقالت: **(واحزنا لصغره في دار هوان! وضيق من ضيمة سلطان، نفيتموه عني طويلًا، وأهديتموه إليّ قتيلًا، فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية، وأنا له اليوم غير ناسية، ارجع به أيها الرسول إلى معاوية، فقل له ولا تطوه دونه، أيتم الله ولدك، وأوحش منك أهلك، ولا غفر لك ذنبك.)**

وبالنظر في البناء النفسى لهذا الحوار، وما كان عليه من امتداد الصوت وعدم انقطاعه، نلمح الحالة النفسية السيئة التي كانت عليها، كما نلمح شدة انفعالها من خلال تشكيلها اللفظي، واختيارها لـ **(وا)** دون غيرها من أدوات النداء، والتي هي نص في التفجع، حيث أطلقت الألف لامتداد حزنها فاكتفت هي بألف المد؛ ليكون آخر منتهى الصوت، فيتلائم مع الواقع الانفعالي التي تعيشه ويتملكها.

وفي ندائها لغير العاقل واعتباره عاقلًا تصوير لمعاناتها، وشدة مصابها، حتى إنها جعلت غير العاقل عاقلا ينادى ويسمع.

وهنا نرى أن آمنة قد جمعت بين الإشارة بالحركة، والقول، **(ثم وضعت يدها على رأسها وقالت)**، والجمع بين الاثنين دليل على شدة انفعالها بالموقف، وهذا يذكرنا بموقف امرأة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– حينما جمعت بين الفعل والقول، ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ الذاريات: ٢٩ ، وإن كان الحال مغايرًا إلا أن الصدمة تجمعهما، وكأن فطرة المرأة واحدة.

فالترقي في حوار التفجع يظهر من خلال الجمع بين القول والفعل، ثم النداء.

وفي التعليل بعد النداء، بقولها: **(لصغره في دار هوان)** دليل على امتهان كرامته، وذلك بالتمثيل به، وقطع رأسه، وطرحها، فليس المراد بصغره صغر

سنه، فقد عاش ثمانين عامًا، فقد روي عن "ابْنُ أَبِي حَفْصٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى، عَنْ يَحْيَى بْنِ حَمْزَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي فَرْوَةَ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ جَدَّتِهِ نَاشِرَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ، أَنَّهُ سَقَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " اللَّهُمَّ مَتِّعْهُ بِشَبَابِهِ، فَمَرَّتْ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ سَنَةً لا تَرَى فِي لِحْيَتِهِ شَعْرَةً بَيْضَاءَ"(١)، وإنما المراد قلة جاهه، وضعف نفوذه وسلطانه في هذه الدنيا، مما جعلها تشعر بهوانه عند الخليفة معاوية–رضي الله عنه– وأعوانه، وقد أبانت آمنة عن علة الضيق بقولها: (من ضيمة سلطان) التي تفسر وتوضح –من وجهة نظرها–أن هذا الضيق كان نتيجة لظلم السلطان.

ولم تكتف آمنة بالجو الحزين التي تشيعه كلماتها، بل امتدت نغمتها الشَّجِية تسري في النص لتطرب الآذان، وذلك من خلال تردد حرف النون، في قولها: (وا حزنا–دار هوان–ضيمة سلطان)، "فألقت بنغمتها الشَّجِية لصوت النون في الأسماع صوت الندب والنواح بما فيه من أنين، ورنين، واهتزاز، وتوتر، وهذه الإيحاءات الصوتية في النون مستمدة أصلًا من كونها صوتًا يهيج النفس، وينبعث من الصميم؛ للتعبير عفو الفطرة عن الألم العميق؛ فكان أصلح الأصوات قاطبة للتعبير عن مشاعر الألم"(١)، كما جسد تكرارها إثراءً لمشاعر الحزن الذي يخلفه فقد السند والحبيب.

ثم فصلت آمنة جور السلطان بقولها: (نفيتموه–أهديتموه)، فلا شك أن التفصيل بعد الإجمال، وهو من الأساليب التي تتشوق النفس وتتعلق بمعرفة ماذا بعد؛ لأن "المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح... فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن،

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسين علي ابن أبي الكرم عز الدين ابن الأثير ٢٠٥/٤، ت: علي محمد معوض–عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية–بيروت، ط: الأولى١٤١٥هـ–١٩٩٤م.

وكان شعورها به أتم، أو لتمكن اللذة بالعلم به.."[1]، فثمة فرق بين أن يذكر المتحدث كلامه جملة، ثم يشرع في تفصيله والتدليل عليه، وهو ما فعلته آمنة في جميع حوارها، ولا شك أن هذا يدفع المتلقي إلى الاستمالة والتعاطف معها، مما يعينها على الوصول إلى مرادها ومبتغاها.

وقولها: **(وضيق من ضيمة سلطان)**، فالجملة معطوفة على ما قبلها؛ للإشراك في الحكم، حيث إنها ترقٍ وتصاعد في معنى الظلم والقهر، إذ المتسبب فيهما واحد، وهو الحاكم، وما أروع استرسالها في بيان المقتضي لشدة حزنها وآلامها، حيث وصفت مشاعر بُعد زوجها بالنفي، وذلك في قولها: **(نفيتموه عني طويلاً)**.

ولقد آثرت آمنة التعبير بـ (النفي) دون (البعد) الذي هو خلاف القرب؛ لتدل على أنه قد نُفي وأُبعد قَسرًا وكَرهًا، وهو ما يصوره ضمير الجمع في قوله: **(نفيتموه)**، وكأنهم تآلبوا واجتمعوا على نفيه، ومن ثَّم قتله، فالخطاب بواو الجماعة يصور قوة الفتك وشدته.

وبالتأمل في قولها **(عني)** بالإضافة لضمير الملكية يشعرنا بأنه جزء منها، ثم إذا ما نظرنا لإيقاعها وجدنا صوت انكسارها، فحركة الكسر تحاكي أنينها، وتتلائم مع صبرها في مصابها، وحنينها واشتياقها لزوجها الذي كان مركز قوتها وحمايتها، "ومن الأمور التي أسهمت في تعميق الإحساس بتجربة الحزن... استعمال أصوات العين والنون، وكثيرًا ما يقترن صوت العين والنون بالعواطف والأحاسيس، والحديث عن الحب والأشجان والفراق"[2]، ومن ناحية أخرى تدفع

(١) ينظر خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس:١٥٨، منشورات اتحاد الكتاب العرب،١٩٩٨م.

(٢) التمثيل الصوتي للمعاني، دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي، حسني عبد الجليل يوسف، ص:٩٦ ، الدار الثقافية للنشر– القاهرة، ط: الأولى ١٩٩٨م.

المتلقي بهذا الحوار الداخلي للنفس للتجاوب معها، والتأثر بموقفها، بل وتدفعه دفعًا إلى معايشته معها، فتحدث من خلال حوارها عملية تواصل بينها وبين المتلقي، فتؤثر فيه، ويتأثر هو الآخر بها.

ثم إن في حذف مفعول النفي؛ تنشيطًا لخيال المتلقي؛ لتأويل المحذوف، وذلك في قولها: **(طويلًا)**، والتقدير: (نفيا طويلًا)، دليل على تركيزها بالدرجة الأولى على النفي، وأنه كان نفيا طويلًا لا تستطيع تحمله، ومن ثم أوجزت وركزت على الزمن، فلو قالت: (نفيتموه عني نفيا)، فإلى أن يأتي المتلقي لكلمة (طويلًا) ينشغل بنفيا، لكنها تريد من بداية الأمر تسليط الضوء على الفعل الذي كان سببًا في بُعده، فهي لا تسرع إلى الصفة (طويلًا) إلا إذا أحست بالغربة وشدة البعد والافتقاد، وهكذا أدى الحذف دوره في إثراء الدلالة المقصودة وتكثيف المعنى، ولذا وجدنا الإمام عبد القاهر يشير إلى فائدته العظيمة في مستهل باب الحذف، فيقول: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين"(١).

ويمكن أن نقول إن (طويلًا) صفة لموصوف محذوف تقديره: (وقتًا طويلًا)، فاكتفت بالصفة عن الموصوف؛ رغبة في الإيجاز؛ لأن المراد استحضار طول المدة؛ لبيان مدى ارتباطها بزوجها وإحساسها بمرارة الفراق، كما يصور مدى عاطفتها تجاهه، وسواء أكان المحذوف مفعول النفي أو الصفة فكلاهما يشعرنا بمرارة الفقد وشدته.

(١) دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص١٠٦، ت: الشيخ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني–القاهرة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ–١٩٩٢م.

ويتجلى جمال حوار آمنة من خلال إبداعها في التصوير، والذي أسهم بشكل مباشر في تحويل الدلالة اللغوية من المعنى المتعارف عليه إلى معنى مغاير، فيتشكل منه معنى جديد يخلق تعاطفًا وانفعالًا من المتلقي، فنراها تقول: **(وأهديتموه إليّ قتيلاً)**، فالهدية: "ما يُقدم لشخص من الأشياء على سبيل التودد يقال "أهدى هديَّةً: قدَّمها، أعطاها له إكرامًا وحُبًّا"[1]، وقد تكون لمناسبة سارة، كما في قوله تعالى:﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ النمل: ٣٥

فهي في الغالب تكون لمسرة، أما استعمالها هنا فهي على سبيل الاستعارة التهكمية، حيث استعملت في نقيض الشيء أو ضده، فـ "استعارة اسم أحد الضدين أو النقيضين للآخر بواسطة انتزاع شبه التضاد وإلحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم أو التمليح، ثم ادعاء أحدهما من جنس الآخر، والإفراد بالذكر، ونصب القرينة، كقولك إن فلانا تواترت عليه البشارات بقتله ونهب أمواله وسبي أولاده، ويخص هذا النوع باسم الاستعارة التهكمية أو التمليحية"[2].

والفارق بينهما أنه إن كان الغرض الحامل على استعمال اللفظ في ضد معناه الهزؤ والسخرية بالمقول فيه كانت تهكمية، وإن كان الغرض إطراء السامعين وإزالة السآمة عنهم بواسطة الإتيان بشيء مستملح مستظرف كانت تمليحية.

فآمنة أرادت أن تبين من خلال حوارها عن زوجها أنها قوية متماسكة رغم تفجعها وحسرة قلبها عليه، فلجأت إلى مغايرة الأسلوب، فهي لم تقل (اعطيتموه

(١) معجم اللغة العربية المعاصر، ٢٣٣٦/٣.

(٢) مفتاح العلوم، للسكاكي، ص٣٧٥، دار الكتب العلمية- بيروت- ط:الثانية ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

إلـيَ) بـل قالـت: (أهديتموه إلـيّ) علـى سـبيل الاسـتعارة التهكميـة؛ لقصـد الـتهكم والاستهزاء بالخصم.

فاسـتعيرت الهديـة، وهـي أمـر إيجـابي بكـل مـا تحملـه مـن إكـرام وإجـلال وتقدير إلى الطرح الذي هو ضدها على سبيل التهكم بالخصم، فهذه المغايرة في الأسلوب قد أبانت من خلالها مدى قوة العلاقة بينها وبين زوجها، ومدى حزنها وتفجعها، الأمر الذي جعلها تكرمه، فهي تأبى أن تنزله منزلة أقل من منزلته، فهو بمثابة الهدية والشيء الثمين، وفي هذا ضرب من التكريم رغم إهانته وقطع رأسه بصورة مزرية.

ففـي التعبيـر بلفـظ (الهديـة) دون غيـره، معاملـة الخصـم بنقيض قصـده، وعـدم مجاراتـه فـي مـراده، فعبـرت عـن (الطـرح)، ومـا فيـه مـن إذلال ومهانـة بـ(الهدية) المحببة لدى المُهدى إليه، فهو كالهدية لها حيًّا وميتًّا.

ثـم إن التعبيـر عـن قتلـه بصـيغة فعيـل، (قتيلًا) التـي بمعنـى مفعول، أى: مقتولا، أدل على تحقق القتل، إذ هي أمكن في التعبير، وأدق في التصوير على حتمية المصير وديمومته، كما أنها أدل على ديمومة التفجع والتوجع والتحسر عليه.

وقولها: (فأهلًا وسهلًا بمن كنت له غير قالية، وأنا له اليوم غير ناسية)

فهـذا الحـوار يطالعنـا علـى قـوة وصـلابة وتصـبر وتماسـك آمنـة رغـم مـا يعتريها من أحزان وأوجاع، وهنا مفارقة لفظية استطاعت من خلالها استمالة المخاطب، ومشاركته لها في المواساة والتصبر، كما أنها تثير اندهاش المتلقي بهذا الترحيب.

ففـي زيـادة التهليـل والترحيـب بزوجهـا رغـم أنـه فـارق الحيـاة، مزيـد اهتمـام وترحيب، حيث لم تكتف بكلمة (أهلًا)، وإنما في زيادتها لـ(سهلًا)، استئناسًا به، الأمر الذي أفصح لنا عن مكانته في قلبها، وهذا من قبيل حُسن استقبال المَزُور لزَائِرِه؛ لأن " وَقَوْلُهُمْ فِي تَحِيَّةِ الْوَارِدِ: أَهْلًا ومَرْحَباً أَيْ صادَفْتَ أَهْلًا ومَرْحباً،

وَقَالُوا: مَرْحَبَك اللهُ ومَسْهَلَكَ. وَقَوْلُهُمْ: مَرْحَباً وأَهْلًا أَي أَتَيْتَ سَعَةً، وأَتَيْتَ أَهْلًا، فاسْتَأْنِس وَلَا تَسْتَوْحِشْ"(١)، وهذا يدعو إلى التفصيل والإطناب والإسهاب في الكلام، ولعل المقام هو ما دعا إلى التفصيل والبوح، فهذه المرأة لم تك لتبالغ في الترحيب باستقبالها لبعض زوجها، وإنما هي تعبر عن صادق مشاعرها، ومكنون حبها، وعظيم ترحابها بلقاء رأس زوجها، فما بالنا بلقاء زوجها، فهذا المشهد تصوير لعاطفة المرأة الصادقة ومرارة إحساسها بفقد عزيز غال.

وقد استخدمت الفعل الماضي في حوارها، فقالت: **(بمن كنت له غير قالية)**؛ دلالة على أنها كانت بالفعل ملازمة له ، فمعنى قلى: ترك، فـ "التَرْكَ ضَرْبٌ مِنَ القِلى"(٢)، وهي بهذه الصيغة كأنها أفاقت من سكونها، وكأنها في تلك اللحظة أدركت فراقه، وأنه لم يعد على قيد الحياة، فأخذت تتحدث عنه، فحديث الماضي قد استمالت به السامع؛ ليتجاوب معها، ويحزن لحزنها، ويستعطف لحالها.

وهنا يظهر تنوع الزمن في الحوار بين ماض يؤكد على موته، كما يؤكد على وفائها، وحاضر يقرر بقاءها على ذكراه، وذلك في قولها: **(وأنا له اليوم غير ناسية)**، فهي بهذا الزمن تستحضر ديمومة ذكره في نفسها، فهو وإن مات إلا أنه يحيا بداخلها.

ولا يخفى ما في بناء هذه الأوصاف على السجع **(غير قالية – غير ناسية)** من إنشاء إيقاع صوتي أخاذ له وقعه وأثره في استمالة المخاطب، حيث إن السجع "يخامر العقول مخامرة الخمر، ويخدر الأعصاب إخدار الغناء، ويؤثر في النفوس تأثير السحر، ويلعب بالأفهام لعب الريح بالهشيم؛ لما يحدثه

(١) لسان العرب، مادة:رحب.

(٢) لسان العرب، مادة: قلى.

من النغمة المؤثرة، والموسيقى القوية التي تطرب لها الأذان، وتهش لها النفس، فتقبل على السماع من غير أن يداخلها ملل أو يخالطها فتور؛ فيتمكن المعنى في الأذهان، ويقر في الأفكار"[١]، وبهذا حقق السجع في الحوار الإمتاع والإقناع بالفكرة المسيطرة عليها.

ثم إن التخصيص والتقديم للجار والمجرور في قولها: **(وأنا له اليوم غير ناسية)** تأكيد لمعنى عدم انشغالها عنه حتى بعد موته.

فتقديم الجار والمجرور مرتين، **(بمن كنت له غير قالية)**، **(وأنا له اليوم غير ناسية)**، فيه من المبالغة ما فيه؛ لأن المقدم، هو "مصبُّ المعنى"[٢]، فالكلام عن زوجها هو الأساس القائم الذي بُني عليه الحوار.

كما استخدمت الزمن الحاضر(اليوم)، دلالة على بيان ديمومة ذكره في نفسها، وتجدد هذا الحب على مر الزمان، فكأن ما تحمله له من صدق مشاعر يتجدد بتجدد الأزمان.

ثم بعد أن أظهرت مشاعر الترحاب والتهلل أمامهم، أخذت في استرداد قوتها واستدعاء حسرتها، واستجماع شجاعتها؛ لتلقي برسالة إلى من قهرها وأضرم نارًا في قلبها، فاستعانت بالأساليب المتنوعة من الأمر، والنهي، والدعاء؛ علها بهذا القول تشفي غليل صدرها، وتطفئ بعض ما أندلع به من نار، فترجمت ما بداخلها، فقالت لرسول معاوية–رضي الله عنه–: **(ارجع به أيها الرسول إلى معاوية)**.

وهنا تتوجه في حوارها إلى الرسول بعدة أوامر، الأمر الأول: حمل رسالتها والرجوع بها إلى معاوية–رضي الله عنه– ، والآخر: تمثل في قولها: (فقل له)،

(١) الصبغ البديعي في اللغة العربية، د/ أحمد موسى:٤٩٧، دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ.

(٢)من أسرار حروف العطف، د/ محمد الأمين الخضري،٥٠، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م.

وهو تأكيد على الإبلاغ وتوثيق الحدث، ثم إن التعبير بأسلوب النهي الصريح في قولها: **(ولا تطوه دونه)**، وانتقالها من صورة الأمر، والتنوع في الأسلوب الإنشائي الطلبي، دلالة على شدة الحرص على الطلب، والتأكيد على تنفيذ الأمر دون توان، كما أنه يفصح عن رغبتها لسماع معاوية قولها، ولا شك أن إصرارها نابع مما يحمله صدرها من ألم ومرارة، فكأن رسالتها تسلية لحالها وتفريغ لمشاعر تأججت من الحرقة على فراق زوجها، فاتخذت لسانها سلاحا مدافعا عنه.

وبإنعام النظر في حوار آمنة، وما فيه من تلك الأوامر، وما يليها من دعاء عظيم، نرى أنه قام بالكشف عن شخصية آمنة وجرأتها، فهي لم تكتف بالحزن والنحيب على زوجها ورثائه، وإنما اجتهدت في الدعاء على قاتله، ولعل في ترتيب الدعاء وتنوعه ما يصور لنا حجم المعاناة التي تعيشها آمنة، وما تتكبده من آلام جراء فقد زوجها، كما أنه ترك أثرًا عميقًا في نفس المتلقي، ففي تنوع الدعاء، دليل على مدى الحرقة التي تعانيها، فهي لم تترك دعوة إلا وأصابته بها، وكأن في دعائها طلبا للتشفي واجتهادًا في دفع الظلم عنها.

ولا شك في أن تنوع آمنة في حوارها يبرز قوة فصاحتها، وحسن بيانها، وقدرة ملكتها في التعبير عما تريد بأيسر الطرق.

ومن اللافت للنظر أن آمنة قد تجاوزت الحد في الدعاء على سيدنا معاوية- رضي الله عنه- وربما يعتذر عن دعائها بثلاثة أسباب:

الأول: أنها امرأة مسلمة، تحفظ القرآن الكريم، بدليل استشهادها به في أحد المواقف مع أحد الجالسين في مجلس معاوية-رضي الله عنه- حيث قالت له: ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ القصص: ١٩، وهذا لا يعني ضعفًا في العقيدة.

ثانيًا: بشاعة الجريمة –من وجهة نظرها– التي ارتكبت في حق زوجها، حيث القتل، والتمثيل برأسه.

ثالثًا: أن المرأة بطبيعتها انفعالية، فالمشاعر هي مَن تحركها؛ ولذا رأينا وقع هذا في دعائها.

فاستخدمت آمنة أسلوب الترقي في الدعاء، حيث بدأت بقولها: **(أيتم الله ولدك)**، فقدمت الأهم للوصول إلى هدفها المنشود، وهو الدعاء عليه بالقطيعة، والتي هي تعيشها وتشعر بمرارتها، فكأن الدعاء عليه من جنس ما فعل بها، فكما أيتم أولادها دعت على أولاده بفقده؛ ليذوقوا مرارة فقد الأب.

ثم ارتقت في سلم الدعاء وبالغت في القطيعة، فقالت: **(وأوحش منك أهلك)**، فكان لاختيار ألفاظها مزيد في تقوية معنى القطيعة، إذ الوحشة هي: "والوَحْشةُ: الفَرَقُ مِنَ الخَلْوة. يُقَالُ: أَخذَتْه وَحْشةٌ. وأَرض مَوْحُوشةٌ: كَثِيرَةُ الوَحْشِ. واسْتَوْحَشَ مِنْهُ: لَمْ يَأْنَسْ بِهِ فَكَانَ كالوَحْشيّ؛ وأَوْحَشَ المكانُ مِنْ أَهله وتوَحّشَ: خَلا وذهبَ عَنْهُ النَاسُ، والوَحْشةُ: الخَلْوةُ والهَمُّ، وَقَدْ أَوْحَشْت الرجلَ فاسْتَوْحَشَ"[(١)].

ثم انتقلت إلى أعلى درجة في سلم الترقي في الدعاء عليه، فقالت: **(ولا غفر لك ذنبك)**، فوصلت بها إلى أقصى الدرجات في سلم الاجتهاد في الدعاء عليه، حيث لم تكتف بالدعاء عليه في الدنيا، بل لاحقته بدعائها في الآخرة، وذلك في "بناء تصاعدي للمعاني يتم عبره تركيب بعض العناصر على بعض وبناء أسماها على أدناها في شكل نمو متدرج يأخذ بيد المتلقي إلى ما يهدف الأسلوب إلى تحقيقه لديه فكريًا وشعوريًا"[(٢)]، وقد اعتمدت آمنة في

(١) لسان العرب، مادة: وحش.

(٢) من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف، د/ فتحية محمود فرج العقدة، ص٢٢٨، ٢٢٩، مطبعة الأمانة، ط:الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

حوارها على تصعيد الترقي في الدعاء بـ (الواو)؛ لتشعرنا بأن كل دعاء مستقل بذاته، وما من شك أن الجمع بين تلك الدعوات بـ (الواو)، والتي من طبيعتها إفادة التغاير بين المعطوفات، هو زيادة كل دعاء عما قبله، إذ "حين يعطف أحدهما على الآخر فلابد أن يختلفا في الدلالة بحكم المغايرة التي يتطلبها العطف، حتى لا يكون من عطف الشيء على نفسه"(١)، وبهذا تكون وصلت بدعائها غايته ومنتهاه.

أليس هذا الأسلوب كفيلا لتصوير مدى حرقة آمنة، ولوعة قلبها على فراق زوجها، أليس بيانا على أن بافتقاده افتقاد لكل ما هو جميل، لقد جمعت آمنة بين صفتين الأولى: الإخلاص في الحب، والأخرى: الجلد والصبر على المصيبة.

إذن يمكننا القول بأن تصاعد المعاني في الحوار ظهر من خلال الاسترسال في الدعاء، وذلك كما في قولها: **(أيتم الله ولدك، وأوحش منك أهلك، ولا غفر لك ذنبك)**، حيث استقصت جهدها في الدعاء عليه بما أفاضت قريحتها به.

وإنصافًا للحق لم تكن المرأة محقة في دعائها على الخليفة معاوية –رضي الله عنه– لأنه لم يكن ليتجنى بالقتل على زوجها عمرو بن الحمق، إذ هو من أحد المشاركين في قتل سيدنا عثمان –رضي الله عنه– فضلًا عن أنه قيل في وفاته أنه "دخل غارا فنهشته حيّة فمات، فأخذ عامل الموصل رأسه، فأرسله إلى زياد، فبعث به زياد إلى معاوية"(٢)، وهذا مما ينفي عن سيدنا معاوية –رضي الله عنه–التمثيل برأسه.

(١) الواو ومواقعها في النظم القرآني، د/ محمد الأمين الخضري، ص:١٧٨، ط: الأولى، مكتبة وهبة، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

(٢) الأعلام،ج٥/٧٧.

المبحث الثالث

بلاغة حوار آمنة مع معاوية–رضي الله عنه–

وبعد أن بلغ معاوية دعاء آمنة أرسل إليها، إما طلبا لإقرارها بما قالت، أو مراجعتها فيما قالت، أو مواجهتها بما قالت، تأمل قول الراوي:

(فرجع الرسول إلى معاوية فأخبره بما قالت فأرسل إليها فأتته وعنده نفر فيهم إياس بن حسل أخو مالك بن حسل وكان في شدقيه نتوء عن فيه لعظم كان في لسانه وثقلٍ إذا تكلم، فقال لها معاوية أأنت يا عدوة الله صاحبة الكلام الذي بلغني؟)، وفي النص على الرجوع والإخبار والإرسال توثيق للحدث، وتأكيد على صحة الحوار.

فاستفهام معاوية–رضي الله عنه– في حواره **(أأنت يا عدوة الله صاحبة الكلام الذي بلغني؟)** استفهام إنكاري، غرضه التهكم منها والازدراء لقولها، ونلمح في هذا الحوار أنه كلما زاد الانفعال والتوتر كان الاستفهام هو الوسيلة المترجمة عنه؛ لأنه من "أوفر أساليب الكلام معانيا، وأوسعها تصرفًا، وأكثرها في مواقف الانفعال ورودًا، ولذا ترى أساليبه تتوالى في مواطن التأثر، وحيث يراد التأثير"(١)، فلم يكتف بالاستفهام الإنكاري فحسب، بل أتبعه بالنداء للبعيد في قوله: **(يا عدوة الله)**؛ نظرًا لدنو مكانتها، فهى وإن كانت في المجلس تحادثه إلا أنه أنزلها منزلة البعيد؛ نكاية لها، وتوبيخا وزجرًا.

وزاد من توبيخها أن لقبها بـ (عدوة الله)، وفي ذلك مبالغة، إذ فيه من التوبيخ مافيه، ولعل في جواب آمنة ما يجعلنا نستطيع رسم ملامح شخصية تلك المرأة القوية الشجاعة التي لا تخاف فيتبدل كلامها، بل أقرت به وأكدت عليه،

(١) فن البلاغة، د/ عبد القادر حسين:١٤٥،١٤٦، عالم الكتب، ط: الثانية، ١٤٠٥هـ–١٩٨٤م.

فأجابت عن سؤاله بقولها: **(قالت نعم غير نازعة عنه، ولا معتذرة منه، ولا منكرة له)**، فمن أين لها هذه الشجاعة؟ ومن أين لها تلك القوة التي تصدت بها لمعاوية؟ إنها قوة الحب التي تحركها، وشدة الوجيعة وألمها هو مَن يصاحبها في قولها، وَرَدَّة فعلها.

ولنا وقفة مع تلك الجمل التي كان من الممكن اختزالها في جملة واحدة، ولكن لما زادت وأطالت أبانت عن حالتها النفسية، إذ اللسان ترجمان الخاطر، فلكل لفظة دلالة، ومعلوم أنه كلما زاد اللفظ اتبعه زيادة في المعنى، فما بالنا إذا زادت الألفاظ، وتعددت المفردات، وانصبت في فكرة واحدة لا تخرج عنها، يقول ابن جني: "إذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به"(١)، فلا شك أن كل هذا يترجم لنا حالة المتكلم ونفسيته.

ولعل في لجوء آمنة إلى أسلوب الترقي في حوارها ما يلفت الانتباه إلى المعنى المراد التركيز عليه، وذلك بتصعيد المعنى درجة بعد درجة؛ ليستقر في أذهان الحاضرين، فيكون بمنزلة رد فعل وأخذ ثأر، "كذلك تكون البلاغة في الترقي من الأدنى إلى الأعلى، إذا كان الغرض رصد حركة النفس، ومواكبة تطورها حتى تستقر على آخر ما ترقى إليه"(٢)، ففرق بين أن تجيب عن سؤال معاوية بنعم وتسكت خاضعة ذليلة، وفرق بين أن تجيب بنعم، وتؤكد على قولها، وعلى عدم رجوعها عنه، فلا شك أن هذا يبرز لنا قوة شخصيتها، وشجاعتها، وطلاقة لسانها، فالتأكيد على المعنى والتركيز عليه لم يقتصر على الترقي فقط، وإنما وضح أيضا من خلال عنايتها واختيارها لتلك المفردات، فقولها: (غير نازعة) تعني أنها غير مراجعة لجوابها ولا مبررة لدعائها، إذ "المُنازَعةُ فِي

(١) الخصائص لابن جني:٢١٧/٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الرابعة.

(٢) الواو ومواقعها في النظم القرآني، ص١٧٩.

الخُصومةِ: مُجاذَبةُ الحُجَجِ فِيمَا يَتنازَعُ فِيهِ الخَصْمانِ، وَقَدْ نازَعَه مُنازَعةً ونِزاعاً: جاذَبه فِي الْخُصُومَةِ، والعُذْر: الْحُجَّةُ الَّتِي يُعْتَذر بِهَا؛ وَالْجَمْعُ أَعذارٌ، والنَّكِرَةُ إِنكارك الشَّيْءَ، وَهُوَ نَقِيضُ الْمَعْرِفَةِ"(١)، وبهذا تكون قد وصلت إلى أعلى درجات الاعتداد بالنفس، والثبات على المبدأ.

وقولها: **(فلعمري لقد اجتهدت في الدعاء إن نفع الاجتهاد، وإن الحق لمن وراء العباد، وما بلغت شيئاً من جزائك، وإن الله بالنقمة من ورائك).**

فـ (لعمري) هو قسم متعارف في العربية، أتت به للتأكيد على اجتهادها في الدعاء، حيث تقوم جملة القسم "بدور المواسي؛ ليؤكد أنها فجيعة لا تماثلها فجيعة"(٢)، ثم نراها أتبعت القسم باللام الداخلة على حرف التحقيق (قد)، فهو تأكيد على تأكيد، ولعل في هذا المعنى ما يوضح لنا مدى حرصها ليس على الدعاء، وإنما على الإخلاص فيه، حيث الاجتهاد أعلى مراتب العمل، وفي قولها: **(إن نفع الاجتهاد)**، دليل على شكها في أنها وصلت لأقصى درجات الاجتهاد، وكأنها تشعر بالتقصير في الدعاء، فهي بالشرط التمست العذر لنفسها ورفعت عنها الحرج.

فحقيقة الأمر أن جملة الشرط جملتان، الجملة الثانية متعلقة بالأولى، فما السر في استخدامها (إن) للشرط المقطوع بوقوعه دون إذا؟

فآمنة هنا تشك في قدرتها على الاجتهاد في الدعاء، فرغم إخلاصها إلا أنها تحس من داخلها بالتقصير، فاستخدامها للشرط حكاية لحزنها، وعظم مصابها، كما قررت بهذا الشرط عدم جدوى الاجتهاد في الوصول إلى أقصى درجات العقوبة.

---

(١) لسان العرب، مادة: نزع، عذر، نكر.

(٢) بديع التراكيب في شعر أبي نواس، أشرف فوزي جلال:٢١٩، ط:الثانية، مؤسسة حورس الدولية للنشر–الإسكندرية، ٢٠١٠م.

وفي استعانتها بالله واختيارها لفظ: **(الحق)** دون غيره من الأسماء إشارة إلى كونها تنشد الحق، ولا تبغي غيره.

وتستكمل جرأتها في الحوار فتقول: **(وما بلغت شيئاً من جزائك، وإن الله بالنقمة من ورائك)**، فالنفي دليل على إنكارها لبلوغه مايستحق من جزاء، ففي اختيارها للفظ (بلغ) أي منتهى الوصول، واختيارها لحرف الجر (من) دون غيره أبانت عن دقة الوصف، بمعنى حتى إن وصلك دعائي عليك، واستجابه الله، فهذا جزء من قليل من جزائك، يالها من بلاغة راقية.

ثم تستأنف دعاءها عليه، فتقول: **(وإن الله بالنقمة من ورائك)**، "والنَّقْمَةُ: المكافأَة بِالْعُقُوبَةِ، يُقَالُ نَقَمْتُ نَقْماً ونُقوماً ونَقِمَةً ونِقْمةً، ونَقِمْتُ: بالَغْتُ فِي كَرَاهَةِ الشَّيْءِ. وَفِي أَسماء اللَّهِ عَزَّ وَجَلّ، والمُنْتَقِم، هُوَ الْبَالِغُ فِي الْعُقُوبَةِ لمنْ شاءَ، وَهُوَ مُفْتَعِل مِنْ نَقَمَ يَنْقِمُ إِذَا بَلَغَتْ بِهِ الكراهةُ حدَّ السَّخَطِ" (١).

ثم إن في تقديم لفظ الجلالة في حوارها دليلًا على الاستعانة بالله في تحقيق هذا الدعاء، وفي تقديم العقوبة مايدل على الاهتمام بها والاعتناء بأثرها ومردودها عليه، وهنا مخالفة؛ لأنه بعد كل هذا الدعاء كان من المتوقع أن يزجرها وينهرها معاوية-رضي الله عنه- ، ولكنه خالف المتوقع بأن أعرض عنها، وهذا يفصح لنا عن شخصية الحاكم الذي يملك زمام نفسه، ولا تحركه الكلمة فتخرجه عن ثباته، فكان منه أن أعرض عنها، ثم إن الفاء في قوله: **(فأعرض عنها معاوية)** تحاكي سرعة الإعراض، وهو ما يتناسب وضمير الغائب، فكأنها غائبة عن المجلس، وفي هذا نكاية لها وتقليلٌ من شأنها .

وقد كان إعراض معاوية-رضي الله عنه- سببًا في تجرؤ أحد الجالسين عليها، حيث قال:

(١) لسان العرب، مادة: نقم.

(فقال إياس: اقتل هذه يا أمير المؤمنين، فوالله ما كان زوجها أحق بالقتل منها)، وكان قد تقدم ذكره، ووصفه، في قوله: **(وكان في شدقيه نتوء عن فيه؛ لعظم كان في لسانه، وثقلٍ إذا تكلم)**، وهو مايضفي على النص الحواري تحري الدقة، فلولا تقدم ذكره لما ربطنا بين كلامه ووصفها له بما هو عليه، فالأمر بـ (القتل) هنا ليس على حقيقته، وإنما هو التماس لصاحب الحكم بالقتل، وفي التعبير باسم الإشاره للقريب دليل على تحقيرها والاستهانة بها مرتين مرة باللفظ، وأخرى عن طريق استحضاره للمشار إليه، وفي المقابل تعظيم بالنداء للحاكم، ووصفه بأمير المؤمنين.

وفي قوله: **(فوالله ما كان زوجها أحق بالقتل منها)**، كناية عن أنها أحق بالقتل من زوجها.

وقولها: (فالتفتت إليه، فلما رأته ناتئ الشدقين، ثقيل اللسان، قالت تبًا لك، ويلك بين لحيتيك كجثمان الضفدع، ثم أنت تدعوه إلى قتلي كما قتل زوجي بالأمس، إن تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض، وما تريد أن تكون من المصلحين).

وفي الالتفات دليل على الاهتمام والعناية للرد، يقال "تلفَّتَ ، تلفُّتًا، فهو مُتلفِّت، والمفعول مُتلفَّت إليه تلفَّت إلى الشَّيء: التفت إليه؛ أدار رأسَه يمينًا أو شمالاً ناظِرًا إليه"(١)، تأمل قول الراوي: **(فلما رأته)** وما تحدثه من الامتداد الصوتي، دل على استغراقها مدة في النظر إليه، ومن ثَّم دقة وصفه، وهو ما أكده الراوي بقوله: **(فلما رأته ناتئ الشدقين، ثقيل اللسان، قالت: تبًا لك، ويلك بين لحيتيك كجثمان الضفدع)**، ففي قولها: **(تبًا لك)**، إذ "التَّبُّ: الخَسارُ. والتَّبابُ: الخُسْرانُ والهَلاكُ. وتَبَّا لَهُ، عَلَى الدُّعاءِ، أَي أَلْزَمه اللهُ خُسْراناً

(١) معجم اللغة العربية المعاصر،ج٣/٢٠٢١.

وهَلاكاً"[١]، ثم لم تكتف بهذا، بل ترقت في الدعاء عليه، وقالت: **(وَيْلَك)**، مَعْنَاهُ: "أَلْزَمَكَ اللَّهُ وَيلًا"[٢]، ثم جاءت تصف حاله، في قولها: **(بين لحيتيك كجثمان الضفدع)**، وهنا نتساءل لماذا اختارت الضفدع للتشبيه به خاصة دون غيره من الحيوان؟ لقد اختارته؛ لمعرفتها بأوصافه التي تنطبق على هذا الرجل، إذ الضفضع "لا عظم لها" [٣]، وهو كناية عن ضعفه وشدة تتعته، فكأن الكلام فيه حذف، وكأنني بآمنة تقول: فإذا كنت كما قلت وما وصفت به، فكيف بك تسأل معاوية قتلي كما قتل زوجي؟، فانشغل بحالك، وانظر إلى نفسك قبل أن تتكلم، فلتقل خيرًا أو لتصمت.

ففي هذا التشبيه تصعيد لتنفير المخاطب من نفسه، وذلك مثلما تقتضيه "الاستراتيجية التلميحية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي؛ لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ لا يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرًا في ذلك عناصر السياق"[٤]، فهي أوجزت واختزلت بلفظ الضفدع ما تريد أن تقوله، وما لاتستطيع أن تقوله عنه ويسعفها المجال لقوله.

وإذا بها تنتقل في الحوار لتستدعي من القرآن الكريم ما تعضد بها حجتها فتتلوا، **(إن تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض، وما تريد أن تكون من المصلحين)**، ومن الملاحظ أن آمنة قد استطاعت بتوظيفها للاقتباس من القرآن الكريم، والذي هو" أن يضمن الكلام شيئًا من القرآن أو الحديث لا على أنه

(١) لسان العرب، مادة: تبب.

(٢) لسان العرب، مادة: ويب.

(٣) الحيوان، للجاحظ،ج٩٩/٧، دار الكتب العلمية– بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٤هـ.

(٤) استراتيجيات الخطاب، (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص٣٧٠، دارالكتاب الجديد المتحدة، ط:الأولى، ٢٠٠٤م.

منه"[١]، أن تعبر عن تجربتها الشعورية بشكل أكثر تأثيرًا في نفوس المتلقين، حيث استطاعت أن تحدث تفاعلًا وترابطًا بين الآية الكريمة، وغرضها التي ترمي إليه.

وفي اختيارها لـ (ثم) دون غيرها من أدوات الربط ما يتناسب وحال المتكلم من التأخير والتباطؤ في النطق، وقولها بـ **(الأمس)** رغم أن زوجها قتل من ذي قبل، دليل على أن حسرة موته وحرقة فراقه لا تزال حديثة عهد بها، فهي لم تتوان عن التفكير بقتله، إذ مازال فراقه يؤلمها، ومرارة الشوق إليه تقتلها.

ثم إن قول الراوي: **(فضحك معاوية)** مولد من مولدات الحوار، حيث "إن الإنسان كائنٌ يحسُّ ويشعر بما يجري حوله، وإذا ما انفعل بشيء فرحًا أو حزنًا ظهرت عليه مظاهر تُبين عن ذلك الانفعال كالضحك والبكاء والغضب وغير ذلك، وكل هذه المظاهر مما يولد الحوار"[٢]، فالضحك يحتمل أمرين: الأول: أن يكون سخرية منها ومن كلامها، والآخر: أن يكون معجبًا ومتعجبًا بفصاحتها وطلاقة لسانها وقوة وجرأة ردها؛ ولذا استحضر (ثم) في قوله: **(ثم قال لله درك)**، والتعبير بـ (ثم) دلالة على أنه استغرق وقتا في الضحك، وبعده قال قوله: **(لله درك)**، و" يَكُونُ مَدْحًا وَيَكُونُ ذَمًّا، كَقَوْلِهِمْ: قَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَكفره وَمَا أَشعره. وَقَالُوا: لِلَّهِ دَرُّكَ أَي لِلَّهِ عَمَلُكَ، يُقَالُ هَذَا لِمَنْ يُمْدَحُ وَيُتَعَجَّبُ مِنْ عَمَلِهِ، فإِذا ذُمَّ عَمَلُهُ قِيلَ: لَا دَرَّ دَرُّهُ وَقِيلَ: لِلَّهِ دَرُّك مِنْ رَجُلٍ مَعْنَاهُ لِلَّهِ خَيْرُكَ وَفِعَالُكَ، لأَن الدَّرَّ أَفضل مَا يُحْتَلَبُ"[٣]، وأرى أن كلامه ينسحب نحو الإعجاب؛ لأن اجتماع الضحك مع هذا الدعاء يدعونا إلى هذا الرأى، ولا عجب، فهي أعرابية فصيحة

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبوعبد الله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني ، ص٣٨١، دار إحياء العلوم، بيروت، ط: الرابعة، ١٩٩٨ م.

(٢) أسلوب الحوار في الحديث النبوي (دراسة بلاغية)، ص٢٠٦.

(٣) لسان العرب، مادة: درَّ.

اللسان قوية الجلد صابرة مكلومة، ولذا أفاضت روافد حزنها فأخرجت كلامًا قويًا كالسهام حتى أن معاوية-رضي الله عنه- لمسه فاستعصى عليه أن يوقفها، فكان الأمر **(اخرجي)**، ففي الأمر بخروجها؛ فرار من سلاطة لسانها.

ثم لم يكتف بأمرها بالخروج، ولكن خروجها مشروط بصمت أى: تخرج ولا تتكلم ولا تنطق بكلمة، وحدد المكان **(الشام)**؛ ليدل على أنه لايريد أن يسمع بها ليس في دمشق وحدها بل في الشام كلها، بل وكل طرف من أطرافها، دل على ذلك قوله: **(في شيء من الشام)** أي لا أسمع عنك في أي ناحية من نواحيها.

وفي اختيار السمع دون البصر في قوله: **(ثم لا أسمع بك)**، كناية عن البعد.

ومن بلاغة حوار آمنة وردها على معاوية-رضي الله عنه- في الأمر بالخروج أن قالت:

(وأبي لأخرجن، ثم لا تسمع لي في شيءٍ من الشام)، وهذا من باب تضافر الأدلة على عدم القدرة على البقاء، فأقسمت بالواو، ثم بأبيها على الخروج، وأكدت عليه باللام، ونون التوكيد الثقيلة، ثم أعقبت قسمها وصدقت على كلامه بأن لايسمع لها صوتًا في الشام، فهي إن خرجت ستخرج ليس لأمره، وإنما لعدة أسباب وحجج أثارتها، فارتقت في سلم الحجج من حجة إلى أخرى؛ لتؤكد على خروجها، فجمعت في حوارها بين الإقناع والإمتاع.

فالحجة الأولى: **(فما الشام لي بحبيب)**، كناية عن كرهها لهذا البلد التي فقدت فيها أغلى ما تحب زوجها، ورفيق دربها.

والحجة الثانية: **(ولا أعرج فيها على حميم)**، ومعنى أعرج: "عرج: العَرَجُ والعُرْجة: مَوْضِعُ العَرَج مِنَ الرِّجْل، والعَرَجان: مِشْية الأَعرج، وَرَجُلٌ أَعرج مِنْ قَوْمٍ

عُرْج وعُرجان، وَقَدْ عَرَج يَعْرُج عَرَجاناً: مَشَى مِشْية الأَعرج بعَرَضٍ فَغَمَزَ مِنْ شيءٍ أَصابه"(١)، وَفِي التَّنْزِيلِ: فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ، والحَمِيمُ القَرابةُ، يُقَالُ: مُحِمٌّ مُقْرِبٌ(٢)، أي أنها لا تتكئ فيها علي صديق مقرب، فلم يتبق لها فيها من مُعين.

والحجة الثالثة: **(وما هي لي بوطن، ولا أحن فيها إلى سكن)**؛ لأن الوطن سكن الأهل والأحباب، فالسكن والأمن والأمان بالنسبة لها متمثلًا في الزوج وقد فُقد، فالجملة كناية عن الفقد والذكرى الموجعة المفجعة التي عاشتها بعد فَقْد السند والمؤازر.

والحجة الرابعة: **(ولقد عظم فيها ديتي، وما قرت فيها عيني)**، أي أن المصيبة في هذا المكان عظيمة والحدث جلل، فنفت عن نفسها الأمان والاطمئنان الذي كان متمثلًا في سندها وقد فُقِد.

ثم تأتي لتصعد وتترقى في سلم الحجاج؛ لتؤكد على السبب الأعظم في الخروج عن طريق التأكيد والنفي، حيث أكدت باللام الداخلة على حرف التحقيق؛ لتؤكد على عظم الدية، كما أنها نفت سكون عينها واطمئنان قلبها.

وفي تقديم المكان، والتعبير عنه بالضمير، ما يشعرنا بالوطن الغائب المستتر وراء ما حدث فيه من مصائب، فهي لا تستطيع أن تذكره؛ لأن مجرد ذكره، هو ذكر لأحداث مريرة، ولذا نفت عودتها إلى تلك البلد أو الرجوع إليها، وذلك في قولها: **(وما أنا فيها إليك بعائدة)**، ففرق بين قولها (وما أنا بعائدة)، وبين أن تقول (وما أنا فيها إليك بعائدة)، إذ الزيادة في الكلام تشعرنا بالتأكيد على البعد، وهي "خصوصية تفسّر شيئًا داخل المتكلم، ذلك هو إحساسه بالمعنى

(١) لسان العرب، مادة: عرج.

(٢) لسان العرب، مادة: حمم.

إحساسًا عميقًا، وتعبيره عنه كذلك تعبيرًا عميقًا، والكلام تجسيد لحقائق نفسية، وبناء صوتي لأحوال شعورية، وملامح هذه الحقيقة في النفس هي ملامح هذه الصورة الكلامية"[1]، ومما يقرر هذه الحقيقة ويؤيدها التأكيد على عدم الرجوع والعزم عليه، فهي لم تعد تنتمي إلى هذا المكان، ولا تطيق أو تتحمل أن ترى مَن به، فهذه الجملة كناية عن كره المكان وعدم الرجوع، والمشاعر السيئة التي تحملها له.

وبرغم كرهها للمكان الخارجة منه إلا أنها لم ولن تك حامدة للمكان الذاهبة إليه، رأينا ذلك في قولها: **(ولا حيث كنت بحامدة)**، فهي لا تحن للمكان القديم؛ لما به من مآسي وأوجاع، ولا للمكان الجديد؛ لأنها أخذت معها همومها وأحزانها، فهي في ألم مستمر، إذ لم يغير المكان في حالتها شيئًا.

فبعد أن رأى معاوية–رضي الله عنه– حالتها التزم الصمت ولم يستطع أن ينطق بكلمة، إذ هي تحاجه بكلام منطقي مقبول، ترمي به فيلمس القلب ويوجع الفؤاد، فلم يك منه إلا أن **(أشار إليها ببنانه أخرجي)**، فإشارته كناية عن عدم استطاعته الرد عليها، أو تأثره بكلامها، وإحساسه بمقدار فجيعتها، فالموقف لا يحتمل كلامًا، فآثر التعبير بالحركة؛ تأكيدًا على الخروج الذي طلبه من ذي قبل.

وأرى أن التعبير بالإشارة يومئ إلى الثبات على موقف الخروج، فكلامها لم يحرك فيه ساكنًا أو يغير من موقفه، بل نراه عبر عنه بما يحمل الإهانة في التعبير، ففرق بين إعادة الأمر بالخروج، والإشارة دون النطق والتلويح باليد بالخروج، لا شك أن هذا أعظم في الإهانة من غيره، فالحركة تعطينا انطباعًا

(١) دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، أد/محمد أبو موسى ص١١٦، مكتبة وهبة– القاهرة، ط: الرابعة ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.

عن شخصية المتحدث، فإن كان للكلمة من تأثير قوي، فللحركة التأثير الأكبر في إيصال ما يريد المتكلم من معنى.

فما كان منها إلا أن امتثلت للخروج في الحال، أبانت عن ذلك الفاء، وما دلت عليه من سرعة الخروج، في قوله: **(فخرجت)** ، وفي قولها: **(واعجبي لمعاوية! يكف عني لسانه، ويشير إلى الخروج ببنانه)**، فهي تحاور نفسها بصوت مسموع، وتتعجب من صنع الخليفة معاوية–رضي الله عنه– ، ومن صمته، ومن اتخاذه الإشارة دون النطق بكلمة، فتقول:

(أما والله، ليعارضنه عمرو بكلام مؤيد، سديد، أوجع من نوافذ الحديد)

وقد أجادت آمنة حين بدأت المعنى بـ (أما)، وهي "حرف استفتاح بِمَنْزِلَة أَلا، وتكثر قبل الْقسم"(١)، وتأتي للإشعار بأهمية ما سيقال بعدها؛ لينتبه السامعون لقولها، فكأنها استأنفت كلامًا جديدًا؛ فيتمكن في النفس ويثبت، ثم أقسمت **بـ (والله ليعارضنه)**؛ ليكون أشد في التنبيه وأقوى، فالجمع بين القسم، ولام التأكيد، ومعنى (المعارضة)، كشف لنا عن أبعاد العلاقة المتأزمة بينها وبين سيدنا معاوية–رضي الله عنه– ، مما جعلها لا تكتفي وحدها بالمعارضة، بل تلحقها بمعارضة زوجها المقتول.

وليقول قائل هل عمرو على قيد الحياة ليعارض معاوية–رضي الله عنه–؟ ولما كان التعبير عنه بالفعل المضارع رغم أنه رحل؟ والإجابة أنها استدعت عمرو من الآخرة إلى الدنيا، وتكلمت عن لسانه، وكأنه حاضر باق، وكأنها تتوجع لوجعه، وتقتص لثأره، فكان هذا أوقع في الدلالة على المعنى، وأشد تأكيدًا على مراد آمنة من كونه يحيا بداخلها، كما أنه يكشف لنا كيف كان لدلالة الكلمة

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام،ج٧٨/١ ، ت: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط: السادسة، ١٩٨٥.

من تصوير البعد النفسي، حيث يرفض وعيها أن يتعامل مع الحقيقة والتسليم بموته، فحاولت من خلال استحضار دلالة المضارع بث الروح في فقيدها؛ للشعور بوجوده، وعدم فقده.

وفي اختيار أفعل التفضيل **(أوجع)** ما يشير إلى قوة الحجة، وشدة وطأتها وعظمها؛ فمن خلال التفضيل تشكلت صورة الوجع في الذهن، كما تبين مقدار قوته، فكان وقعه على النفس أوجع من نوافذ الحديد، "فتوظيف اسم التفضيل في أى نص إبداعى يسهم–إلى حد كبير– في التأثير على عقل المتلقي؛ ومن ثم تحفيزه على الامتثال لما طلب منه امتثالًا قائمًا على الإقناع والرضا"(١)، وهو ما فعله الأسلع مع الخليفة معاوية–رضي الله عنه– في توصيفه لكلام آمنة.

وفي قولها: **(أو ما أنا بابنة الشريد)** هذا حوار الواثق من نفسه المعتد بقوله.

وتتجلى روعة الحوار من خلال التماسك النصي في توظيف الروابط توظيفًا بديعًا، تأمل قوله:**(فخرجت، وتلقاها الأسود الهلالي، وكان رجلاً أسود، أصلع، أسلع، أصعل، فسمعها وهي تقول ما تقول، فقال: لمن تعني هذه الأمير المؤمنين تعني؟ عليها لعنة الله، فالتفتت إليه)**

ويظهر ذلك جليًا من ترتيب الأحداث في الحوار: (فخرجت وتلقاها.. فسمعها..فالتفتت إليه..فلما رأته قالت) دليل على أنها خرجت، وفور خروجها تلقاها من سَمِعَ قولها، فإذا به يوقفها، ويسألها، ويستوثق أن ما سمعه منها كانت تقصد به أمير المؤمنين، فلعنها، فما كان منها إلا أن التفتت إليه.

(١) من بلاغة اسم التفضيل في الحديث النبوى الشريف، ا.د/ أحمد طلحة، ص٢، ١٤٤٢هـ–٢٠٢١م.

وكلمة (فالتفتت) والتي تكررت في النص؛ دليل على أنها لم تك لتتناول من أقحم نفسه، وتدخل في الحوار بالسب والرد؛ إلا لأنه تدخل فيما لا يعنيه، فهي لم تكن تعيره اهتمام أو تنتبه إلى وجوده إلا بعد أن نطق وتكلم، وتدخل ليلفت انتباهها؛ ولذا كان جميع حوارها لهؤلاء الجالسين في المجلس كرد فعل ورد اعتبار.

وفي وصفه ما يدل على دقة النص ودقة الراوي، **(وكان رجلًا أسود، أصلع، أسلع، أصعل)**، كما أن تلك الصفات كناية عن قبح مظهره، مما جعل آمنة توسعه سبًا بما لا يدع بعدها قولًا لقائل، فقالت: **(خزيًا لك وجدعًا، أتلعنني واللعنة بين جنبيك؟ وما بين قرنيك إلى قدميك، اخسأ يا هامة الصعل، ووجه الجعل، فأذلل بك نصيرًا، وافلل بك ظهيرًا، فبهت الأسلع ينظر إليها، ثم سأل عنها، فأخبر، فأقبل إليها معتذرًا خوفًا من لسانها، فقالت: قد قبلت عذرك، وإن تعد أعد، ثم لا أستقيل، ولا أراقب فيك)**

و"الخِزْيُ: السُّوءُ، الخِزْيُ الفَضِيحةُ، وَقَدْ خَزِيَ يَخْزَى خِزْياً إذا افْتَضَح وتَحيَّر فَضِيحَةً"(١)، و"الجَدْعُ: قطع الأنف والأذن والشفة"(٢)، حيث دعت عليه أن يزداد سوءًا وقبحًا فوق قبحه.

وفي قولها: (أتلعنني) استفهام خرج من معناه الحقيقي إلى معنى التعجب، فكأنها تقول أتلعنني وأنت أولى باللعنة مني، وهو استفهام يحمل كل معانيه البلاغية من تعجب وتوبيخ وإنكار، ثم بينت السبب الذي من أجله تتعجب، فقالت:

(١) لسان العرب، مادة: خزا.

(٢) لسان العرب، مادة: جدع.

(واللعنة بين جنبيك، وما بين قرنيك إلى قدميك، اخسأ يا هامة الصعل، ووجه الجعل، فأذلل بك نصيرًا، وافلل بك ظهيرًا)، فبينت أن اللعنة قد أحاطت به من كل جهة، فاستقصت بوصفها جميع الاتجاهات، ثم عقبت الوصف بالأمر الخارج عن معناه الحقيقي إلى التهكم والسخرية، فقالت: **(اخسأ)** و"الخاسِئُ مِنَ الكِلاب والخَنازِير وَالشَّيَاطِينِ: البعِيدُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ أَن يَدْنُوَ مِنَ الإِنسانِ. والخاسِئُ: المَطْرُود. وخَسَأَ الكلبَ يَخْسَؤُه خَسْأً وخُسُوءاً، فَخَسَأَ وانْخَسَأَ: طَرَدَه"(١)، ولم تزل تستطرد في الإهانة، فنادته بما تراه أهلًا له من توبيخ، فقالت: **(يا هامة الصعل، ووجه الجعل، فأذلل بك نصيرًا، وافلل بك ظهيرًا)**.

والصعل: "الدَّقيق الرأْس وَالْعُنُقِ"(٢)، و"الجَحْل: الجُعَل، والجَحْل ضَرْبٌ مِنَ اليَعاسيب مِنْ صِغارها، وَقِيلَ: الجَعْل اليَعْسوب الْعَظِيمُ، وَهُوَ فِي خَلْق الجَرادة إِذا سَقَطَ لَمْ يَضُمَّ جَنَاحَيْهِ"(٣)، "ومن أعاجيب الجعل أنّه يموت من ريح الورد، ويضرب بشدّة سواد لونه المثل"(٤)، والجمل الثلاث كناية عن صفة القبح، وسوء المظهر والمخبر، فما كان منه إلا التعجب من كلامها، وعدم القدرة على الرد فبهت، و"بُهِتَ الرجل يبهت بهتاً إذا حار، يقال: رأى شيئاً فَبَهِتَ: ينظر نظر المتُعَجِّب"(٥)، وهو كناية عن حيرته.

وهذا الحوار يفصح لنا عن جزء من شخصية آمنة تلك الشخصية القوية التي لا يردها راد، ففي السابق استوقفنا مع صمت الخليفة معاوية-رضي الله عنه- أمام ردها عليه، والآن نقف أمام اعتذار الأسود الهلالي، بل وإقباله عليها

(١) لسان العرب، مادة: خسأ.
(٢) لسان العرب، مادة: صعل.
(٣) لسان العرب،مادة: جعل.
(٤) الحيوان،٣/٢٤٤
(٥) لسان العرب، مادة: بهت.

معتذرًا نادمًا؛ خوفًا من لسانها، كما نقف أمام عفوها المشروط بعدم الرجوع إلى قوله، فكل هذا يحكي لنا قوة شخصية هذه المرأة، ومهابتها، واستطاعتها أن تأخذ حقها بفصاحة لسانها والتي لا تملك وسيلة غيره.

ففي قولها: **(وإن تعد أعد)** نرى تأزم الحوار بين الطرفين، وأن الذي يملك زمام الشرط هو الأقوى، فكانت آمنة هي المهيمنة على الحوار، فاتخذت من أسلوب الشرط سبيلًا إلى طاعتها، وعليه حذفت جزءًا من الشرط وجوابه، والتقدير: (وإن تعد لقولك أعد لقولي)، فالحذف هنا دل على أن المحذوف شيء لا تتسع له عبارة، أو يحيط به وصف، وقد عد شيخ البلاغيين أبو موسى الحذف مظهرًا من مظاهر الاقتدار اللغوي، فقال: "وإنما هو تصرف تصفى به العبارة، ويشتد به أسرها، ويقوى حبكها، ويتكاثر إيحاؤها...وهو من جهة أخرى دليل على قوة النفس، وقدرة البيان، وصحة الذكاء، وصدق الفطرة"(١).

فإذا أضفنا أن المقام مقام تحذير وترهيب، تجد أنها قد وضعت المخاطب أمام حالة من التخويف والترهيب تجعله يرجع عن كلامه، ويلتزم الأدب معها؛ خوفًا مما قد يفعله لسانها به.

وقد عبرت بالفعل المضارع؛ لما يقوم به من جعل المعنى مشاهدًا حاضرًا في ذهن المخاطب، "فالمضارع يجعل المعنى حاضرًا بين يديك، وكأن الأفعال المضارعة في الكلام الحر مرايا تعكس لك الصورة، والأحداث فلا تسمعها بأذنك فقط، وإنما تراها بعينك أيضًا"(٢)، ولا شك أن هذا التعبير أقوى، وأشد في التأكيد على الترهيب والتوعد، فلم تكتف آمنة في التوعد بالعودة إليه بلسانها، بل ترقت

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل البيان، د/أبو موسى، ص١٥٣، مكتبة وهبة، ط: السابعة.

(٢) ينظر: قراءة في الأدب القديم، د/أبو موسى، ص٣٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الثانية،١٩٩٨م.

في التوعد إلى ملازمته ومراقبته، فقالت: **(ثم لا أستقيل، ولا أراقب فيك)**، فالاستقالة هي:" طلب إعفاء من العمل"(١)، والرقيب "هُوَ الحافظُ الَّذِي لَا يَغيبُ عَنْهُ شيءٌ، وترَقَّبَه، وارْتَقَبَه: انْتَظَرَه ورَصَدَه"(٢)، وقد عبرت آمنة عن المعنيين بأسلوب النفي، أى: إن عاد فستعود، وتظل ملازمة مطاردة له، بحيث لا ينفك لسانها عنه.

ولا شك أن مقام التحذير والترهيب يحتاج إلى صياغة قوية، وإلى كلمات ذات وقع رنان، وجرس عنيف قوي يتلائم مع حالتها النفسية، وذلك حتى توقع الرهبة في النفوس، وهذا ما فعلته آمنه، فقد اختارت من الكلمات ما يتناسب مع معانيها، وما يصور حالتها النفسية.

(١) معجم اللغة العربية، ١٨٨٦/٣.

(٢) لسان العرب، مادة: رقب.

المبحث الرابع

بلاغة حوار معاوية–رضي الله عنه– مع الأسلع

لم يقتصر الحوار علي آمنة ومعاوية بن أبي سفيان–رضي الله عنه– ، ولكنه امتد إلى بعض الحاضرين، حيث انعقد حوار بين معاوية–رضي الله عنه– والأسلع، فقال: **(زعمت يا أسلع أنك لا تواقف من يغلبك، أما علمت أن حرارة المتبول ليست بمخالسة نوافذ الكلام عند مواقف الخصام)**، وقد كشف لنا الحوار عن الغاية التي من أجلها قدم معاوية–رضي الله عنه– اللوم للأسلع، والتي بمقتضاها ناداه، ووصفه بما يهينه ويخجله، فقال: **(يا أسلع)**، إذ الأسلع هو: الأبرص، وهو نوع من المرض يصيب الإنسان فلا يخرج منه، وهو كناية عن الإهانة وقبح المظهر.

وقول معاوية–رضي الله عنه–: **(أما علمت – أفلا تركت)** تصعيد للحوار عن طريق الاستفهام، والذي خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى التعجب والتوبيخ، وأسلوب والعرض والتحضيض، إذ المراد: لوم الأسلع على الاعتذار إليها قبل الرد عليها، علمًا بأنه لا يدع حقه ممن غَلبه.

ولقد كانت الإجابة عن حواره: **(قال: أي والله يا أمير المؤمنين)**، وفي هذا اعتراف منه، وإقرار على كلام الخليفة، ولكنه عَقَّب ببيان أسباب ترك الرد، وتقديم الاعتذار، حيث قال: **(لم أك أرَ شيئاً من النساء يبلغ من معاضيل الكلام ما بلغت هذه المرأة، جالستها فإذا هي تحمل قلبًا شديدًا، ولسانًا حديدًا، وجوابًا عتيدًا، وهالتني رعبًا، وأوسعتني سبًا)**.

وهنا كشف لنا الحوار بشكل تدريجي عن الغاية التي عزم لأجلها تجنب الوقوف أمام آمنة، والدخول معها في نقاش، وقد تمثلت حجته فيما يلي:

أولًا: في كونه لم ير مثيلا لها في الفصاحة والبلاغة، فالأسلوب يتصل بمبدعه "من حيث أصبح مرآة تنعكس عليها ملامح شخصيته"[١]، فهي متمكنة

(١) البلاغة والأسلوبية، د/محمد عبد المطلب، ص٢٤٥، الشركة العالمية للنشر– لونجمان، ط: الأولى، ١٩٩٤م.

من لغتها، ملمة بمفرداتها، كما أنها تحمل قلبًا شديدًا كما وصفها، وهو كناية عن جرأتها، وشجاعتها، ورباطة جأشها.

ثانيًا: أن لها لسانًا حديدًا، فـ "اللسان والسيف كلاهما سلاح في الخصومة، ولكن إذا كان السيف أشد رهبة وأصلب جسدًا، فإن اللسان أنفذ طعنا، وأبعد أثرًا عند الخصومة، وكذلك عند الغاية والنتيجة حين يحقق كل منهما هدفه، فإن اللسان حينئذ أشد سلطانًا على أتباعه، وهم أشد طواعية له من طاعتهم للسيف"(١)، أرأيت كيف وصف اللسان بالحديد؟ وكأنه سيف صارم يصول في قلب من يقف أمامها.

ثالثًا: امتلاكها للجواب العتيد المنيع، وهو أعظم ماتملك من أسلحة؛ لأن الإنسان قد يتكلم ويتكلم ولا يؤثر فيمن حوله، ولكن يكون الكلام ذا تأثير، عندما يكون مشفوعًا بالأدلة والبراهين على صدق القول، وهذا ما تمكنت آمنة من فعله.

رابعًا وأخيرًا: خوف الأسلع وشدة رعبه لما رأى من رد فعلها وبلاغة قولها، أرأيت كيف أن الأسلع استقصى صفات آمنة، وقدرتها على المحاورة، وأوجزها في تلك الجمل.

فما كان من معاوية–رضي الله عنه– إلا أنه التفت إلى وزيره، وقال :**(ابعث لها ما تقطع به عنا لسانها، وتقضي به ما ذكرت من دينها، وتخف به إلى بلادها، وقال: اللهم اكفني شر لسانها)**

فلما سمع قول الأسلع، ورأيه في بلاغة منطق آمنة؛ أمر وزيره أن يعطيها بعض الأموال؛ ليقطع به لسانها، ثم دعا الله أن يكفيه شر لسانها.

ولتكن المفاجأة في الرد تنتظره، تأمل قول الراوي: **(فلما أتاها الرسول بما أمر به معاوية، قالت: يا عجبي لمعاوية! يقتل زوجي، ويبعث إليّ بالجوائز)**، "والنداء لون من الخطاب، ولا يكون إلا في أمر هام، وحين يعظم هذا الأمر يصحب النداء أساليب أخرى لها تأثير قوي كالأمر والنهي والاستفهام، وغالبًا ما

(١) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، د/عبد الحليم حفني، ص١٩، مكتبة لسان العرب، الهيئة المصرية للكتاب، ط:الثالثة ، ١٩٩٥م.

يتقدم النداء؛ لضمان اهتمام المخاطب، وإصغائه، والتفاته، وتتبعه لما يلقى عليه"[١]، وتكرار النداء مع إضافته لضمير المتكلم **(يا عجبي)** إشارة إلى ما تحمله من ذهول واستغراب، ويلاحظ تكرار أسلوب النداء في حوار آمنة (وا حزنا– وا عجبي– يا عجبي) "فالتكرار ليس مجرد سرد للعنصر المكرر، وإنما هو تركيز عليه، وإبراز له، ووضعه حيز الاهتمام عند المتلقي، وبالتالي يكون للعنصر المكرر الصدارة عند المتلقي"[٢] ومن هنا برزت فاعلية التكرار في استمالة المتلقي لما ينتجه الحوار من معان.

وتتبع آمنة تعجبها بهذا الأسلوب الخبري في قولها: **(يقتل زوجي، ويبعث إليّ بالجوائز)**؛ لتقرر أمر تعجبها، وتحدد علة ندائها، ومما زاد من روعة التعجب أنها آثرت التعبير عن القتل بالفعل المضارع، وكأن أثر القتل مازال باقيًا فيها، وألم فراقه يتجدد بتجدد ذكره والحديث عنه، فَكَّنت عن معاوية–رضي الله عنه– بأبي كرب، فقالت عنه: **(فليت أبي كرب سد عني حره صله خذ من الرضعة ما عليها)**، وهو بيت مشهور

"**لَيْتَ حَظِّي مِنْ أَبِي كَرِبٍ ... أَنْ يَسُدَّ خَيْرُهُ خَبَلَهُ**"[٣].

يضرب به المثل، "ويقال: إنّه لامرأة من الأوس، في تبع بن أبي كرب حين قدم المدينة، فأطمعت أن ينالها من خيره، فقالت هذه المقالة عند ذلك"[٤].

(١) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن، د/صباح عبيد دراز، ص٢٧٦، ط: الأولى، ١٩٨٦م.

(٢) وسائل التماسك النصي في الخطب النبوية، د/أحمد كنون :١٥٨، دار النابغة للنشر والتوزيع ، ط: الأولى ١٤٣٦هـ–٢٠١٥م.

(٣) مجمع الأمثال، أبو الفضل النيسابوري، ١٩٤/٢، ت:محمد محي الدين عبدالحميد، دار المعرفة–بيروت.

(٤) الأمثال، لابي عبيد القاسم بن سلام البغدادي، ج٢٥٠/١، ت: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث،ط: الأولى، ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م.

المبحث الخامس

بلاغة خاتمة الحوار

وقد تمثلت خاتمة الحوار في نهاية الأحداث، والتي تمت بخروج آمنة وانقضاء نحبها، وظهر ذلك من خلال ردّ الخليفة معاوية-رضي الله عنه- على الأسلع الذي بشره بموتها، ورد الأسلع عليه، فخرج الحوار من الإجمال إلى التفصيل، تأمل قول الراوي:

(فأخذت ذلك، وخرجت)، وهو دليل على سرعة الأخذ وسرعة الخروج، فقصدت الجزيرة، وفي تحديد المكان (حمص)؛ لأن له دخلًا وسببًا في الموت؛ لأنه كان موبوءًا، تأمل قول الراوي: **(فمرت بحمص فقتلها الطاعون، فبلغ ذلك الأسلع، فأقبل إلى معاوية كالمبشر له، فقال افرخ روعك يا أمير المؤمنين، قد استجيبت دعوتك في ابنة الشريد، وقد كفيت شر لسانها)**.

ثم إن تكرار (الفاء) وتتابعها في الحوار مرة بعد أخرى، دليل على السرعة، وعلى التتابع العملي في إنجاز المهمة، وهي خروجها، وموتها، ووصول خبرها لمعاوية-رضي الله عنه- ، وردة فعله، فكأن الزمن تلاشى أمام الموقف، فـ (الفاء) طوت الزمن، فتمسك الحوار بالفاء؛ طلبًا لتوالي الأحداث، فكانت الفاء هي الأنسب للسياق، وتفاعل الحوار.

فاعتمد في هذا الحوار على السؤال وانتظار الإجابة، **(قال: وكيف ذلك؟)**، فالاستفهام خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي، وهو التعجب من سرعة الموت واستجابة الدعاء، ويحتمل أن يكون على حقيقته، حيث أراد معرفة كيفية موتها، وتحقق الدعاء بهذه السرعة، ولقد كانت الإجابة: **(قال: مرت بحمص، فقتلها الطاعون)**، وهنا أفصح عن سبب موتها، وكان رد معاوية-رضي الله عنه- عليه: **(فنفسك فبشر بما أحببت)**، وهنا خالف رد معاوية-رضي الله عنه- ما ينتظره الأسلع أو يتوقعه، فكانت المفاجأة أنه لم يبال بما قال، أو على الأدق حاول أن لا يفصح عن فرحته بموتها أمام الأسلع، وكأنه لم يهمه أمرها،

فلم يك ليفرحه أو يغضبه، مستخدما أسلوب التقديم، **(فنفسك فبشر)**؛ ليؤكد عدم عنايته بأمرها، وأن المَعنِيَّ والمشغولَ بموتها هو الأسلع، وعلل لذلك بقوله: **(فإن موتها لم يكن على أحد أروح منه عليك، ولعمري ما انتصفت منها حين أفرغت عليك شؤبوبًا وبيلًا)**، وهو كناية عن كونه هو الأولى بالفرح؛ لأنه هو الذي أصابته سهام لسانها، ولم يستطع الرد عليها، والتزم الصمت تجاه ما قالته آمنة في حقه.

ورغم تعليله الذي يكون منطقيًا، ورغم ما يحاوله من إثبات الفرحة على غيره والتدليل على ذلك، إلا أنني أرى أن بنية الجملة الحوارية على الاستفهام، تؤكد انشغاله بموتها، وانشغاله بكيفيته، وقد اتضح هذا جليًا من سؤاله فور وصول الخبر إليه، **(قال: وكيف ذلك؟)**، إذ لو لم يكن يهتم لأمرها، لما اهتم بالسؤال عن موتها، وكيفيته.

هذا، ولم يقنع الأسلع بما قاله معاوية–رضي الله عنه– ، نرى ذلك واضحًا في جوابه: **(فقال الأسلع: ما أصابني من حرارة لسانها شيء إلا وقد أصابك مثله، أو أشد منه)**.

وفي رد الأسلع على الخليفة معاوية–رضي الله عنه– حجة عليه، حيث نفى أن يكون ما أصابه من سهام لسانها، وحجة منطقها، وطلاقة قولها، أكثر مما أصاب معاوية–رضي الله عنه– منها، وأرى أن (أو) هنا للإضراب بمعنى (بل)، وعليه يكون المعنى: بل أصابك أشد مما أصابني من لسانها، ففيه تأكيد ومبالغة في تعنيف آمنة لكليهما.

ونراه، لم يكتف بقوله، بل زاد من تأكيده لرأيه، بتوظيف أفعل التفضيل **(أو أشد)** في حواره؛ ليبين مدى وقع كلمات آمنة على الحاكم، وتأثيرها عليه.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فهذه دراسة بلاغية تحليلية لـ "حوار آمنة بنت الشريد مع معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه– وقد خلصت هذه الدراسة إلى عدة نتائج، أهمها:

–تنوعت مستويات التعبير في الحوار، فبعضها مباشر يتحدث عنه أصحابه، وبعضها غير مباشر يُفهم من خلال إيحاءات اللفظ، والولوج في أغوار النفس، وذلك بقراءة أفكار المتكلم، والوصول منها إلى معنى المعنى.

–الحوار ذو موضوع واحد مترابط الأجزاء يسلم بعض أجزائه لبعض، فليس هناك استطراد، ولو وجد فهو يخدم النص ويرينا بعضًا من شخصية المتكلم.

– استعان القائمون على الحوار بإيصال رسالتهم عن طريق بعض الأساليب، كان من أهمها: أسلوب الطلب: الأمر، والاستفهام، والنداء.

–يمكن حصر مزايا الحوار في كونه يُظهر لنا البعد النفسي للشخصيات، كما يُظهر لنا الجانب الإبداعي والمخزون اللغوي لدى المتكلم.

–من الملاحظ أن آمنة كانت تصيغ أفكارها في جمل أغلبها قصيرة، تتناسب مع بعضها البعض من حيث الطول والقصر، بحسب ما يقتضيه السياق وتدعو له الفكرة.

– شاعت البلاغة الصوتية في الحوار، وكان لها أثر قوي فيه، وذلك عن طريق التنوع في نبرة الصوت أثناء الحديث، مما يؤدي إلى استمالة المخاطب والتأثير فيه، فلا شك أن النغمة الصوتية تحاكي صوت الانكسار والضعف، كل هذا ساعدها على جذب المخاطب والتأثير فيه.

– إن من أبرز آليات حوار آمنة الاعتماد على فن السجع، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى تمكنها من مفرادت لغتها، ولا شك أن هذا الفن وتوظيفه في الحوار أحدث نوعًا من الطرب الذي تنجذب له الآذان، فمنع الملل، وأكد على الدور المهم الذي لعبه السجع في البناء الفني للحوار.

– زاوجت آمنة في حوارها بين الحذف والإطناب وفق ما يقتضيه السياق، فنرى أسلوب الحذف عند ندب زوجها، بينما يأتي الإطناب في مقام الرد على الأعداء، ومقام التأبين، بخلاف حوار معاوية–رضي الله عنه– فكان الإيجاز منطقه ومنهجه، وفق ما تقتضيه طبيعة المُلك والخلافة.

– كان حوار آمنة حوارًا حجاجيًا، مشفوعًا بالأدلة والبراهين على صدق قولها؛ وفي ذلك محاولة لإقناع المخاطب واستمالته.

–كان لأسلوب الترقي حضورًا في حوار آمنة، حيث أسهم في تقرير المعنى، وتصعيده، وتوكيده، وتمكنه في ذهن المُتلقي.

–تعددت آليات التماسك النصي في الحوار، فتارة يأتي عن طريق العطف، وتارة عن طريق الربط بالضمير، وأخرى عن طريق الإشارة القولية أو الفعلية.

– تكمن مزايا الحوار في طرح الأسئلة، وفي بعض الأحيان الإجابة عنها، وهو ما يحفز المتلقي إلى متابعة الحوار والتفاعل معه في شغف؛ رغبة في الوصول إلى نتيجة، وذلك كما كان سؤاله عن موتها.

– لقد أبرز الحوار أن هناك تنوعًا في شخصية المحاور، حيث كَوَّنَ المُتلَقِي من خلال الحوار فكرة عن شخصية آمنة، وذلك من خلال ردودها القوية الجريئة، والتي تمثلت في الدعاء على الخليفة معاوية بن أبي سفيان–رضي الله عنه– حيث إن المرأة انفعالية بطبعها، وفي الوجهة الأخرى كَوَّنَ لنا حوار معاوية– رضي الله عنه– صورة لشخصية الحاكم المالك لزمام نفسه، الهادئ في ردوده، الضاحك في بعضها، كل هذا لم نك لنعرفه إلا بعد الوقوف على منطق حواره، وردود أفعاله.

–هذا ويوصي البحث بأن تقوم دراسات متنوعة حول كتاب "بلاغات النساء"، إذ لا يزال الكتاب ميدانًا خصبًا للدراسات، والبحوث البلاغية.

هذا "وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، للعباس بن بكار الضبي، ت: سينة الشهابي، مؤسسة الرسالة- بيرت- لبنان، ط: الأولى،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود الزمخشري، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن، د/صباح عبيد دراز ، ط: الأولى، ١٩٨٦م.

٥- استراتيجيات الخطاب، (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: الأولى٢٠٠٤م.

٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن الأثير، ت: علي محمد معوض- عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: الأولى،١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٧- أسلوب الحوار في الحديث النبوي دراسة بلاغية، خليل محمد أيوب، دار النوادر- لبنان، ط: الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٨- أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، د/عبد الحليم حفني، مكتبة لسان العرب، الهيئة المصرية للكتاب، ط: الثالثة ، ١٩٩٥م.

٩- أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حمد، دار المنارة - مكة، ط: الأولى ١٤١٥ هـ-١٩٩٤م.

١٠- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.

١١- الأمثال، لابي عبيد القاسم بن سلام البغدادي، ت: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث،ط: الأولى، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١٢- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني ، دار إحياء العلوم، بيروت، ط: الرابعة، ١٩٩٨ م.
١٣- بديع التراكيب في شعر أبي نواس، أشرف فوزي جلال، ط:الثانية، مؤسسة حورس الدولية للنشر-الإسكندرية، ٢٠١٠م.
١٤- بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور، شرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٣٢٦ هـ-١٩٠٨م.
١٥- البلاغة والأسلوبية، د/محمد عبد المطلب ، الشركة العالمية للنشر- لونجمان، ط: الأولى ،١٩٩٤م.
١٦- البيان والتبيين، عمر بن بحر بن محبوب الكناني، الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال- بيروت ،١٤٢٣هـ.
١٧- تاريخ ابن يونس المصري، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ.
١٨- التمثيل الصوتي للمعاني، دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي، حسني عبد الجليل يوسف، الدار الثقافية للنشر- القاهرة، ط: الأولى ١٩٩٨م.
١٩- الحيوان، الجاحظ، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٤هـ.
٢٠- الخصائص الأسلوبية في شعر الحماسة بين أبي تمام والبحتري، أحمد صالح محمد النهمي، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية – جامعة أم القرى ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
٢١- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل البيان، د/أبو موسى، مكتبة وهبة، ط: السابعة.
٢٢- خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.

٢٣- خصائص الخطاب العلمي في حوار البيروني وابن سينا، صباح بو غازي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية- قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار، الجزائر، ٢٠١٢م.
٢٤- الخصائص لابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الرابعة.
٢٥- دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، أد/محمد أبوموسى، مكتبة وهبة- القاهرة، ط: الرابعة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٢٦- دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني، ت: الشيخ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني- القاهرة، ط: الثالثة، ١٤١٣ هـ-١٩٩٢م.
٢٧- شرح أحاديث من صحيح مسلم، د/محمد أبو موسى، مكتبة وهبة -القاهرة، ط: الأولى ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م
٢٨- الصبغ البديعي في اللغة العربية، د/ أحمد موسى، دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ.
٢٩- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري البغدادي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م.
٣٠- عتبات النص (البنية والدلالة في رواية غاردينيا)، د/ محمد أحمد الرقيبات، مجلة الإيضاح، ٢٠١٨م.
٣١- عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، يوسف إدريسي، الدار العربية للعلوم ، ط: الأولى١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
٣٢- فن البلاغة، د/ عبد القادر حسين، عالم الكتب، ط: الثانية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
٣٣- قراءة في الأدب القديم، د/أبو موسى ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الثانية، ١٩٩٨م.

٣٤- القرآن وعلم النفس، د/محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ط: السابعة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٣٥- الكشاف، للزمخشري، دار الكتاب العربي- بيروت- ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٣٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبوالفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري، دار صادر-بيرت، ط:الثالثة، ١٤١٤هـ،

٣٧- لغة الحوار في القرآن الكريم (دراسة وظيفية أسلوبية)، د/ فوز سهيل كامل نزال، ط: الأولى، عمان- دار الجوهرة،٢٠٠٣م

٣٨- مجمع الأمثال، أبو الفضل النيسابوري، ت: محمد محي الدين عبدالحميد دار المعرفة-بيروت.

٣٩- مختصر تاريخ دمشق لابن عسكر، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ت: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع- دمشق- سوريا، ط: الأولى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٤م.

٤٠- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر ، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٤١- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د/سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط: الأولى ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥م.

٤٢- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ت: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط: السادسة، ١٩٨٥.

٤٣- مفتاح العلوم، للسكاكي ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٤٤- من أسرار حروف العطف، د/ محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٤٥- من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف، د/ فتحية محمود فرج العقدة، مطبعة الأمانة، ط: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٤٦- من بلاغة اسم التفضيل في الحديث النبوى الشريف، ا.د/ أحمد طلحة، ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م.

٤٧- الواو ومواقعها في النظم القرآني، د/ محمد الأمين الخضري، ط: الأولى، مكتبة وهبة، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٤٨- وسائل التماسك النصي في الخطب النبوية، د/أحمد كنون، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط: الأولى ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٢١٤٥
التمهيد	٢١٥٠
أولًا: مفهوم الحوار.	٢١٥٠
ثانيًا: التعريف بشخصيات الحوار.	٢١٥١
ثالثًا: النص الحواري.	٢١٥٣
المبحث الأول: بلاغة التمهيد للحوار.	٢١٥٦
المبحث الثاني: بلاغة حوار آمنة مع رسول معاوية–رضي الله عنه– .	٢١٦٤
المبحث الثالث: بلاغة حوار آمنة مع معاوية.–رضي الله عنه–	٢١٦٧
المبحث الرابع: بلاغة حوار معاوية–رضي الله عنه– مع الأسلع.	٢١٩٢
المبحث الخامس: بلاغة خاتمة الحوار.	٢١٩٥
خاتمة.	٢١٩٧
ثبت المصادر والمراجع.	٢١٩٩